تأليف : ابو جميل
ترجمة : انيس البغدادي

كنت سجيناً ... عندكم

دار الانسان

تاليف : ابو جميل
ترجمة : انيس البغدادي

كنت سجين صدام

دار الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ونـريـد أن نمنّ عـلى الـذين استضعفـوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين* ونري فرعون وهـامان وجنـودهما منهم مـا كانـوا يحـذرون﴾ .

صـدق الله العـليّ العظيم

تمهيد

أصبحت مسألة التعذيب والقتل التي يمارسها بعث العراق بحقّ معارضيه ، قضية شائعة ومعروفة لدى المهتمّين بالوضع السياسي في الشرق الأوسط ، ولدى شرائح عديدة من المجتمعات العربية والأجنبية ، إضافة الى الشعب العراقي المبتلى نفسه .

ويأتي بعث العراق في مقدمة الدول التي عمّمت وتعمّم الإرهاب والقمع والتعذيب والاغتيالات والتصفيات بحقّ معارضيه . . ونكاد نجزم بأنّه لا يوجد حكم دموي في العالم يضاهي بجرائمه جرائم صدّام .

انّ الإرهاب في دول أميركا اللاتينية وانتهاك حقوق الانسان في دول جنوب شرق آسيا ودول الشرق الأوسط لتتصاغر أمام همجية صدّام .

وانّ طغيان الصهاينة في الأرض المحتلة ، وجرائم العنصرية في جنوب افريقيا لتتضاءل أمام وحشية صدّام . . ويكاد لا يخلو تقرير لمنظمة حقوقية وإنسانية في

العالم ، إلّا وسطّر صفحات كثيرة عن أفعال هذا الطاغية .

ان القلم ليعجز . . وان الألسن لتكلّ وتتعب من إحصاء ممارسات الحكم الدموي في العراق . . ولكن وللأسف الشديد ، فإن أقل القليل هو الذي ظهر للعالم . . وان الحركات المعارضة للحكم العراقي ، وبالخصوص الحركة الاسلامية هناك ، والتي كانت في مقدمة الضحايا ، لم تقم بدورها كما ينبغي في فضح هذا النظام وتبيان مظلومية الشعب العراقي ، وتحريك العالم لإيقاف مجازره .

إن ألف كتاب حول حقوق الإنسان في العراق لو أُلّفت وطبعت بشتّى اللغات ، هي قليلة ولا تغطّي معشار الفظاعة والجريمة المرتكبة . . ويؤسف أنّه رغم وجود مئات الألوف من المعارضين والمهجّرين في الخارج ، ومثلهم في سجون العراق . . ورغم أن قصة كل عراقي مهجّر أو معارض مأساة بحدّ ذاتها ، فان شيئاً من هذه المظلومية لم ينشر .

فهل هناك بيت في العراق سلِمَ أفراده من القتل أو التهجير أو الاعتقال ؟

كلّا . . ومن هنا يبدو حجم التقصير المريع حينما يقارن بحجم المأساة ذاتها . ان المطلوب واضح هو تحريك

مشاعر العالم ومؤسساته الحقوقية والانسانية ، لإيقاف هذا الطاغي صدّام من سفك دماء الأبرياء والبريئات من أبناء الشعب العراقي المظلوم . . ولن تتوقف المأساة إلاّ بإزالة صدّام أو تحجيمه على الأقلّ وفضحه على رؤوس الأشهاد .

وهذا الكرّاس الذي بين يديك عزيزي القارىء ، كتب باللغة الانجليزية تحت عنوان (I was Saddam's Prisoner) أي « كنت سجين صدّام » ، ألّفه شخص اعتقل مدّة من الزمن دون جرم هو وزوجته ، وهما مقيمان في لندن ، وقد رمز المؤلّف إسمه بـ (أبو جميل) خوفاً من البطش .

الكرّاس ينقل نتفاً مما يجري في سجون العراق ، مع العلم أن المؤلف لم يوضع مع السجناء السياسيين بشكل خاص ، وما ذكره هو تلخيص لجرائم أكبر وأفظع .

واننا إذ نقدم هذا الكرّاس للقراء، نهيب بكل عراقي وعراقية، أن يكتب محنته وينشرها للعالم ، كجزء من عمل يكمل بعضه بعضاً من أجل رفع هذا الكابوس المخيف الرابض على صدر الشعب العراقي .

الناشر

مقدمة

بعد ستة اشهر من اطلاق سراحي من الاعتقال الرهيب في العراق على يد نظام صدام البعثي جلست لاكتب تجربتي في عشرين فصل واطلعت عليها اقربائي وخلص اصدقائي ، فنصحت بعدم نشرها واحاطوني بشبكة من المخاوف وقعت اسيرها وحفظت ما كتبت في محل أمين . وفي ذات صباح استيقظت على نداء خفي يستحثني لان اضع يدي بايدي المستضعفين في العالم ، فقررت عندها ان ارفع حالة النزاع والكرب التي أعيشها في الوقت الذي لا زالت سياط الطغاة تضرب بلا هوادة . .

هناك في البلاد البعيدة . .

أكاد ارى امرأة عجوزاً تطل من نافذة صغيرة (تحلق في الافق البعيد) تنتظر عودة ولدها . . أو شابة في أيام عرسها تستيقظ كل صباح فتجد نفسها وحيدة . . .

وجوه اطفال بـريئة تستصفـح قسمات ام علهـا تجد جوابا لسؤالهم : أين أبي ، لقد طال غيابه ، نـظراتهم يشع منها الامل في عودته وبيديه هدايا ولعب صغيرة . . .

وفي نهايــة دهليـز طــويـل ، أرىٰ شبــابَ وشيـوخَ المسلمـين معصوبي العيـون يرسفـون في الاغلال والسيـاط تنهش ظهورهم العارية . . والدماء تسيل فـاسمع انينهم ، وعويلهم واواسيهم بصرخة ضعيفة عاجزة .

واسأله تعالى برحمته ان يعز الاسلام في كل مكان . .

● الفصل الأول

بعد منتصف الليل ، نزلاء الزنـزانة في طـريقهم الى النـوم بعد يـوم عصيب من الهم والخوف ، الخـوف مهيمن على الجميع . .

خـوف من الاستدعـاء من قبل « المحقق » في تحقيق لا نهاية له . .

من الضرب المبرح حتى تسيل الدماء بغزارة . .

من التعذيب حتى الانهيار . .

وإذا بالباب الحديدية الضخمة تحدث صريرا مزعجاً فيجمد الدم في العـروق . . الحارس يضـع المفتاح في ثقب الباب ويديره مرات عديدة لتنفتح الباب !

الكـل : نائم ، مضـطجع أو جـالس ينتفضـون من محلهم ليقفوا في استعداد ، كالشياه المرعوبـة تنتظر جـزارها ليدخل حظيرتها ويختـار الضحية !!

لكن هذه المرة يبدو الأمر غريباً . . . غريباً لكون الحركة في السجن تسكن قبل منتصف الليل . . تسمرت العيون بدهشة كل ينظر الى الآخر ، يسحب بطانيته المليئة بالقمل وينتظر مصيره . .

دخل الحارس وصرخ بنا : انهض ! وامرنا بترك واجهة الزنزانة والاصطفاف في القسم الخلفي منها . . . وفي الوقت الذي لا تتسع فيه الزنزانة الا لستين شخصاً ، وضعوا فيها ثلاثمائة معتقل !

وخلف الحارس شاب عار الا من قطعة قماش ممزقة على كتفه وفي رقبته حز واضح ، يبدو عليه انه ابن العشرين . . حُلق شعر رأسه وحاجبيه فلا ترى غير عينين سوداوين برزتا في محجريهما ، اما شاربه فقد حلق نصفه !! الدم يسيل من صدره ، ظهره ، ذراعيه ، فخذه وساقيه ، وقد ضرب بالسياط حتى تركت أثارها على جلده ، وازرق لون الجلد . . فبدا وكأنه شبح افزعنا منظره . . واكثرنا لا يجرؤ ان ينظر اليه ليقرأ في عينيه الضعف والعجز وما آل حاله اليه . .

ثم رأينا (ابو محمود) ـ كعادته ـ في بزة سوداء لماعة ، تعلو شفتيه ابتسامة صفراء . .

« اخبرهم » ! صرخ في وجه الشاب المسكين ،

اخبرهم ما هو ذنبك ، ولماذا فعلنا بك كل هذا ؟

تمتم الشاب « الشبحِ » بكلمات بالعربية :

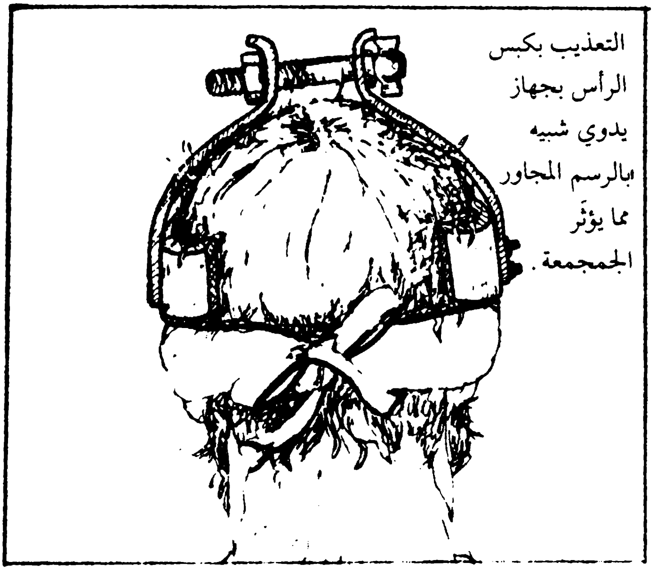
سجنت قبل عدة اشهر ثم اطلق سراحي ، فذهبت الى بعض اقربائي وعوائل اصدقائي لاخبرهم بان ابناءهم الذين فقدوا كل اثر لهم اعتقلوا من قبل جهاز المخابرات وقد التقيت بهم في السجن ،.. فاعتقلت مجدداً لاني بحت بهذا السر .

هل سمعتموه ؟ صاح (ابو محمود) . . . فأجبناه بصوت واحد : نعم سيدي .

لقد فهمنا مغزىٰ هذا الكلام في حين دفع الشاب الى الخارج الى حيث لا نعلم واغلقت الباب مجدداً .



هكذا يسجن المعتقلون ويكبلون بالحديد الى انـابيب مثبتة عـلى الحائط ، وهكـذا يعطون غداءهم ، في بعض سجون نظام بغداد!!



التعذيب بكبس الرأس بجهاز يدوي شبيه بالرسم المجاور مما يؤثر الجمجمة .

● الفصل الثاني

زنزانتنا تقـع في الطابق الـرابع ورقمهـا (٥٨) وقد أمـرنا بحفظ الـرقم ، وعندمـا يأتي احـدنـا من « المحقق » يسـأله الحـرس عن رقم زنزانتـه فـان لم يتـذكـر او يستـطع النطق بالرقم لكونه اجنبياً ـ مثـلي ـ فالصفعـات واللكمات التي يوجهها لـه الحارس تنـال من فمه ، ووجهـه ، ورأسه وبـاقي انحاء جسمـه ، ويقوم بـذلك بشكـل دائم ارضـاء لاسياده ، وعندما تتعب يداه يقوم بالرفس ويصرخ :« ابن الملعــون ، ابن الملعـونــة ، محتــال ، لمــاذا لا تحفظ رقم زنزانتك ؟ » » .

اليوم القادم الجـديد شـاب جميل دفـع بالقـوة داخل الـزنزانـة ، رفع الغـطاء عن عينيه وفكت « الجـامعة » من يديه ومـا هي إلا لحظات وسقط عـلى الارض ، ادار عينيه وتفحص الوجوه الغريبة الكئيبة من حوله ثم اطرق وجلس قرب الباب وبكى بمرارة .

الضغينة ، الحقد ، والشجار اشياء اصبحت مألوفة في زنزانتنا ، وقد تولدت حالة غريبة من التعاطف فيما بيننا فنستمع الى حالة وقصة كل منا بتأن واصغاء ، ونواسي المجروحين ونحنو عليهم .

فعندما دخل « الزائر » الجديد « حسن » رحبنا به كضيف بيننا وقامت اليه مجموعة منا ، امسكوا بيديه وقالوا له ؟ : « عيب ، عيب ، لا تبكي فانت رجل » واعطوه قدحا من الماء الفاتر حيث لا وجود للماء البارد مطلقاً عندنا ، واحاطوا به يسألونه عن قصته ، لكن « حسن » بادرهم بالسؤال عن المدة التي سيقضيها هنا ، . . « لقد طلبوا مني اصطحابهم الى هنا لعشر دقائق فقط ، نعم عشر دقائق فقط ، فلي أم عجوز وانا ابنها الوحيد وأبي متوفي وقد خرجت والدتي من البيت لتشتري بعض المواد الغذائية ، وعند غيابها اقتحموا البيت واخذوني ووالدتي لا تعلم بذلك ، يا الهي ! انهاستموت،ستموت ، ستموت . . انها لا تعلم عن ذهابي شيئاً » .

ووضع رأسه بين ركبتيه وبكى من جديد .

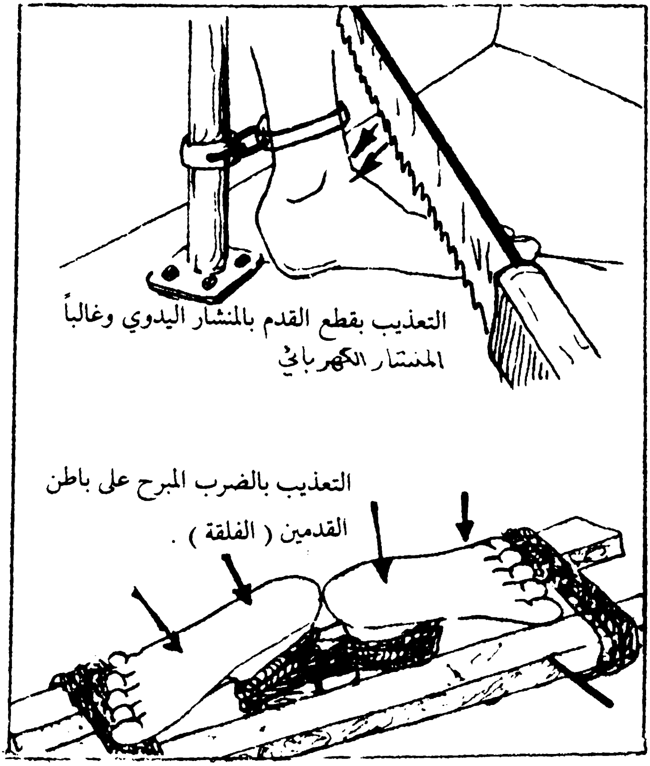
واستمر بالبكاء ، وبعد برهة رفع رأسه وسأل واحداً منا : « منذ متى انت هنا ؟ » .

ـ مائتين وثمانية أيام .

ثم التفت الى آخر ، فاجابه : « اربعة اشهر » .

عندها بكى بصوت عال وقال : « لقد اخبروني باني سامكث هنا عشر دقائق فقط ، انا مصاب بمرض الربو والدتي الارملة عجوز » .. لقد شهدت هذا المنظر المؤلم ..

شاب مضطجع الى جانبي وقد وضع راحتيه على وجهه التفت اليّ والى القادم الجديد بعصبية وقال : « الله كريم » واضاف بسخرية ظاهرة : « انا انزلناه في ثمان وخمسين » يقصد بذلك الزنزانة ٥٨ ..



التعذيب بقطع القدم بالمنشار اليدوي وغالباً المنشار الكهربائي

التعذيب بالضرب المبرح على باطن القدمين (الفلقة) .

● الفصل الثالث

في الـزاوية البعيـدة من الزنـزانـة جلس شـاب وقـد وضع رأسه بين ركبتيه المهترئتين من شدة التعذيب ، منعزلا وخائر القوى ، رفع رأسه وأخذ ينـظر دون تركيـز الى شيء مجهـول . . عمره لا يتجـاوز الثـانيـة والعشـرين ، نحيف البنية ، ضعيف الجسم ، السياط وسلاسل الحـديد تـركت آثاراً واضحة على جسده وجروحه لم تندمل بعد .

زمـلاؤه في الزنـزانـة بـين أونـة واخـرى يـوخـزونـه بـاصابعهم ليمـازحوه ، وقـد تنوعت ردود افعـاله فـاحيانـا يغضب ، وينتفض معتـرضـاً ويلوح بقبضتيـه في وجـوههم محذراً ، واحيانـا ينضم اليهم ويشاركهم مـزاحهم . . هذه الحـالة تـدل على التـأثير البـالغ عـلى عقله من قبـل جهـاز المخابرات !! .

هـذا الشـاب اسمـه وسيم من عـائلة (آل كـاشف

الغطاء)[1] المعروفة في العراق ، ذهب الى سويسرا لدراسة الهندسة وبقي هناك اربع سنوات ، يجيد التحدث باللغتين الانجليزية والالمانية . . بعد انتهاء دراسته ـ وفي طريقه الى العراق ـ مر ببيروت ليلتقي اخاه الذي يعمل في طباعة الكتب الدينية وله ارتباط بحركة امل اللبنانية ، وحين دخوله الحدود العراقية ، القت شياطين المخابرات القبض عليه : « مجرد استجواب مختصر ! » ومنذ ذلك الوقت والى الان مرت عليه خمسة اشهر ، وبالطبع فان التهمة هي : العمل ضد حزب البعث !!.

باب الزنزانة كبير وفيه نافذة صغيرة ، فتحت وأطل منها الحارس صائحاً : وسيم !.

أكبرنا سناً ـ في الزنزانة ـ فرض نفسه وسيطاً لنقل الأوامر بين الحارس والسجناء ، نظر الى وسيم وقال : هرول !.

هبَّ وسيم من محله : نعم سيدي .

نظر اليه الحارس بحقد وقسوة وناوله شيئاً هو عبارة عن قطعة من الجلد الاسود السميك مربوطة من طرفيها

---

(١) أسرة عريقة في العلم تسكن النجف الأشرف ، أشهر من عرف فيها المرجع الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي توفي في الخمسينات الميلادية .

بشـــريط من المـطاط تستعمــل لتعصيب العينـين ، هــذه العصابة تغطي العينيين وتصـل الى نهاية الأنف ولهـا رائحة نتنـة بسبب تعرق الـوجه ونقلهـا من شخص الى آخـر . . عندها ، فتحت الباب وامتدت يدان لتخطفاه وكأنه حيوان هالك ، وضع الحارس « الجـامعة »[1] في يـديه ، واغلقت الباب مجدداً .

بقينا ننتظر عودته لنعرف ماذا جرى له في نـزاله مـع المحقق .

الزمن ، في الزنزانة يقـاس بالاحـداث ، فلا وجـود لسـاعة يعـرف بها الـوقت حيث لا يسمح لنـا بادخـالها الى الـزنـزانــة . . وفيـما نحن جــالســون والهــدوء يخيم عـلى الزنزانة ، فتحت الباب ، تسمرت عيوننـا باتجـاهها ، واذا بوسيم مطأطىء الرأس منحنياً من وسـطه ويمشي متثاقـلاً ، قميصه التصق بظهره وقد ظهـرت عليه بقـع من الدمـاء ، كان ذلك اليوم من أشد الأيـام العصيبة التي مـرت عليه ، فـالاستجـواب كـان مصحـوبـاً بلفـح السيــاط والضـرب بالصوندة[1] حتى ينضح الجلد الـدم من خلال القميص ،

---

(١) الجامعة : هي عبارة عن حلقتين حديديتـين ترتبـطان بسلسلة قصيرة جـداً ، تستعمل لتكبيـل اليدين أو القـدمين الى بعضهـا أو الى شيء ثابت .

(٢) الصـوندة : هي عبـارة عن انبوبـة بـلاستيكيـة سميكـة تستخـدم في=

وعندما يجف الدم يلتصق القميص بالجسم .

ربط وسيم بأحكام من معصميه وقدميه ووضعوه على عجلة حديدية . سحبت يداه حتى تكاد تنخلع من الكتفين ، وكذلك فعلوا برجليه وخيل اليه انهما انفصلتا عن الورك ، . . رفعوا العجلة الحديدية فتدلى عليها ، . . « قل الحقيقة والا ستموت » ، وتتكرر هذه العبارة التي لا تجد لها جواباً عند وسيم مع تكرار رفع العجلة وقلبها رأساً على عقب . .

رمىٰ وسيم نفسه على الأرض بلا حراك فلم يكن يستطيع الحركة أو الكلام ، بقي على هذه الحالة مدة ثلاثة ايام وهو كالمغمى عليه ، دموعه كانت تنهمر على وجنتيه ويئن بصوت خافت : « ماذا فعلت ؟ اماه ! ماذا فعلت ؟ . . » .

بعد ثلاثة أيام انتبه وسيم وعادت اليه الحيوية ، فسألته : أنت من عائلة (آل كاشف الغطاء) ؟ عندما عرفت ذلك تعجبت لأني اعلم ان المدعو (علي كاشف الغطاء) يعمل لحزب البعث تحت غطاء (عالم دين مجتهد) لكن في الحقيقة هذا الرجل لوث سمعة العائلة الكريمة

= تأسيسات المياه تحت التربة ، طولها حوالي نصف متر أو أكثر ، تملأ بالحصى الناعم أو الاسمنت وتغلق من الطرفين ، تستخدم في تعذيب السجناء .

بالعمل مع الكفرة ضد السيد محسن الحكيم[1] .

أدرك وسيم ما أعنيه من سؤالي فـرد علي : « ارجـوك لا تـذكر اسم عمي (علي) . . . انه خـائن ! بقي وسيم شهـرين آخرين في الـزنزانـة ينتظر مـا سيؤول اليه مصيـره وفكره مشتت بين الأمل في الحريـة وبين اليـأس والقنوط . فـأحيانـا يتحدث عن اطـلاق سـراحه وزواجـه واستقـرار حيـاته ، وفجـأة يحـاور نفسـه : انـا لا شيء ، انـظروا الى ملامحي ، اني قبيح المنظر ، من سترضى بالزواج مني ؟ . .

عندما تنظر الى وجه وسيم ترى آثار التعذيب القاسي عليه ، فقد برز فكه السفلي الى الامام ، وقد اراني اسنانـه التي كانت تبرز من تلك الفك الى الامام عندما يـطبق فمه بينها تختفي خلفها الاسنان الامامية . .

بعدما تنتابه حالة اليأس ، يضحك بهستيريا واضحة ويتمتم : لا تهتم حـين اطلاق سـراحي سأذهب فـوراً الى طبيب الاسنان ليصلح لي فكي . . .

جبـار ، شخص ايـراني معتقـل معي في الـزنـزانـة سـألني : مـاذا قـال وسيم ؟ طبيب الاسنـان ؟ لمـاذا طبيب الاسنـان ؟ ثم اردف مازحـاً : اخبـره ، نقـرة عـلى البـاب ويطلب مقابلة المحقق فانه سوف يصلح له فمه في « غرفـة

---

(١) أحد المراجع الكبار في النجف الأشرف ، توفي في بداية السبعينات ،

العمليات »[1] .

ارسل وسيم بعد ذلـك الى « القاضي « [2] ثم اودع سجن « ابو غريب »[3] ، والله تعالى وحده هـو الذي يعلم ما حل به .

= لاقى أذىً واضطهاداً من قبل السلطة .

(١) هي غرفة التعذيب ، وفيها مختلف الأجهزة الكهربـائية والميكـانيكية ، وأكثرها تـطوراً جهاز جـديد استـورد من ألمانيـا يوضـع فيه الانسـان فتحوله الماكنة الى كمية من اللحم المفروم .

(٢) القاضي : شخص تزعم السلطة أنه يمثل القضاء ، لكنه في الحقيقـة موظف في مديـرية الأمن والاستخبـارات يوقـع على قـرارات السلطة بحق السجناء السياسيين .

(٣) سجن يقـع غـربي بغـداد معـروف في العـراق ، فيـه قسم خـاص بالسجناء السياسيين ، وهو من السجون الرهيبة بعد سجن الفضيلية وسجن قصر النهـايـة وهي في بغـداد ، وسجن نقـرة السلمـان في صحراء السماوة .

● الفصل الرابع

.الحارس يصرخ من نافذة الباب : « جاسم محمـود ، خذ اغراضك وحذاءك واطلع » وتـعـنـي اجـمـع حاجياتك وأخرج .

هـذه العبـارة تعني اطـلاق السـراح أو عـلى الأقـل الخـروج من هذه الـزنزانـة الموحشـة ، ولا أحـد يسـتـطيـع التكهن بأن صاحبنـا سيذهب الى بيتـه أو الى المشنقة أو الى فـرقة الأعـدام !! والشخص الضحية نفسـه لا يدري هـل يبتهج أم يحزن لخروجه من هذه الزنزانة .

كـل ذي حظّ سيّىء يدخـل أقبية المخـابـرات يعـطىٰ قرصاً خشبياً أو بلاستيكياً كُتب عليه رقمه . والأنسان هنا ـ في الـزنزانـة ـ لا شيء غير مجـرد رقم ، ولا يعـرف التـأثـير النفسي البليغ لهذا العمل الاّ من جرب ذلك .

الفـرد في الوهلة الأولىٰ يشعـر بأنـه ليس انسـانـاً ولا حتى شيئاً ذا قيمة ، خاصة حينما يشاهـد نفسه بـين مخاوف

كثيـرة تحيط بـه ممـا يـدعـوه الى الكف عن التفكـير في انسانيته .

خلال فترة بقائي لأربعة اشهر ويومين في الأعتقال ، كنا ننادىٰ أحياناً بـأسمائنـا وأحيانـاً بالأرقـام ، مما يتـوجب علينا حفظ الرقم تجنباً للأهانة .

وعندما ينادىٰ عليّ بأسمي أحيانـاً فأن شعـوراً يختلج في نفسي بأني لازلت علىٰ الأقل موجـوداً ثم أتضاءل مجـدداً حينما أنادىٰ كرقم مجرد !!

معنا رجل كوري لا يعرف اللغة العربيـة وقد أجبـر على حفظ رقمه بصعوبة بـالغة حتىٰ انـه في مرات كثيـرة لا يستطيع تمييز رقمه من بـين الأرقام التي يُنـادىٰ عليها ، ممـا يحدو بالحارس لأن يصرخ : « وين هُـوَّ ماكـو ؟ » وتعني أين هو أليس موجـوداً ؟ ولا أحد يجـرؤ على لفت نـظر الحارس الى ان صـاحب الـرقم رجـل غـريب لا يعـرف اللغـة العربية ، فقد وضّح احدُنا يوما للحـارس بان المسكـين لا يعـرف العربيـة فما كـان من الحـارس الاّ ان عصب عينيـه وكبّل يديـه وأخذه الى المحقق ! واضـافة لتعصيب العيـون وتكبيل اليدين فـان الحارس يـأخذ الـواحد منـا من ذراعه بشدة ويمرّره من خلال بعض الحواجز في الممر ثم درجـات السلم الملتوي فيستوهم الشخص أنه يقطع مسـافة طـويلة

وعرة الى أن يصل الى غرفة المحقق .

في غرفة التحقيق أحياناً يحاط الشخص بأربعة أو خمسة أو ستة محققين تضمهم أريكة كبيرة ولا يعرف عددهم الاّ من خلال النظر الى أقدامهم من فتحة صغيرة جداً أسفل عصابة العين تسمح للعين بالنظر الى الأرض .

والى جانب المعتقل يقف الحارس الذي يذهب بعد أن يؤمر بذلك ، عند ذلك يبدأ سيل الأسئلة ينطلق من هنا وهناك ومن كل مكان .

في مديرة الأمن عدد من المحققين يجلس كل منهم في غرفة لها رقمها علينا حفظ ذلك الرقم اضافة لرقمنا الخاص ، فيقال ـ على سبيل المثال ـ أنا تابع لرقم (٩) أو (١٤) أو (٢١) وهكذا وكل محقق يعرف بسمعته السيئة وقساوته ، واذا ما صادف أحدنا محققاً يحمل قليلاً من الصفات الانسانية والشفقة فانه سيكون موضع تعجّب وغبطة من قبلنا .

ونعود الى غرفة التحقيق ، حيث سيل الأسئلة من هنا وهناك وقد وضعت بشكل دقيق ومخطط لتترك آثارها النفسية العميقة على الفرد وأكثر التكتيكات المستخدمة هو طرح أسئلة عديدة وبشكل متتابع يتبعها توقف قصير تُترك الضحية خلاله بين الحيرة والتردّد والذهول ، ماذا بعد؟؟

هل أن المحققين ينظرون الى ضحيتهم وينتظرون الجواب ؟ أم أنهم أهملوه وانشغلوا بشيء آخر ؟ انها فترة قصيرة لكنها محطمة للأعصاب ويبدأ العرق البارد يتصبّب من الجبين ، وتتكرّر هذه الحالة بين كل مجموعة من الأسئلة ، وتنتهي بالجملة المألوفة في السجن : « قل الحقيقة » ويقصد بذلك الاعتراف بالتهمة الملفقة الموجهة الى السجين ، وبعكس كل المقاييس العادلة والثابتة فان المتهم مجرم في نظرهم منذ اللحظة الأولى لاعتقاله !!

« عبد القادر » شخص من الصومال نزل زنزانتنا يوماً ، عندما أراد الدفاع عن نفسه أحرقوا لحيته وشعره فعاد إلينا والرائحة الناجمة عن حرق الشعر تفوح منه ! « هذه هي البداية » هكذا قالوا له ، « اذهب وفكّر مع نفسك وأخبرنا بالحقيقة ، سنستدعيك مجدداً » .

● الفصل الخامس

في السجن هناك غرفة كبيرة نسبيا بلا سقف نرسل اليها مرة كل اسبوعين لغرض استنشاق الهواء الطلق والتمتع بنور الشمس وحرارتها ، وفي طريقنا اليها شاهدنا مجموعة من النساء والاطفال في ممرات السجن امرهن الحارس بتغطية وجوههن في الوقت الذي رأينا اطفالهن الصغار وقد تعلقوا بهن ، اما الصبيان فانهم يلعبون في الممر الطويل ، فهم يضربون الهواء بأرجلهم وكأن كرة بين اقدامهم ، ربما يتذكرون ايام حريتهم ويتسلون لينسوا الواقع والعذاب الذي يعيشونه اليوم هم وامهاتهم ، وبالرغم من كوننا داخل الزنازين المقفلة وبعض النساء السجينات في الممر الا اننا نسمع دائماً صرخاتهن وأناتهن الحزينة في هذا الليل ، يتذكرون ازواجهن وابناءهن وبناتهن الشابات اللاتي اعتقلن او اختفين ولم يعرف مصيرهن ، والتعذيب القاسي الذي يتعرضن له في « غرفة العمليات » !!

وعندما تخترق الصرخات ظلام الليل وهدوءه تشعر بآلام الشعب العراقي الجريح ،.. لا اعرف تحليلاً مقنعاً لهذا الحقد الاسود على مئات النساء البريئات اللاتي اعتقلن وعذبن بسبب اعتقال احد اقربائهن ، وبعضهن يرزحن في الزنزانات منذ اكثر من سنة .. وزوجتي الآن بينهن في احدى الزنزانات !

ونعود الى غرفة الشمس حيث يطلب منا خلع قمصاننا والشروع بتمرينات رياضية ، الحارس وقف جانباً وبيده « الصوندة » وامرنا بالهرولة والدوران داخل الغرفة حتى تنقطع انفاسنا ، وتتبع الهرولة تمارين قاسية مهلكة بعيدة عن مفهوم الرياضة والصحة ، مما يحدو بنا الى محاولة التخلص من هذه التمارين باعذار شتى ..

« قاسم » رفيقنا في الزنزانة من اهل السودان جلس على الارض لانه لا يستطيع الاستمرار بالتمارين فقد كان يعاني من سعال حاد مزمن وارتفاع في درجة الحرارة ،.. وفجأة يظهر « ابو محمود » في بدلته السوداء الداكنة ومنظره البشع الذي يخيف اي انسان يراه في شارع مظلم ، ومع ظهوره نتوقع فاجعة جديدة تنتظر احدنا !! دخل « ابو محمود » غرفة الشمس ونظر الى قاسم الذي كان قد تهالك على الارض وجلس في زاوية منها ، صاح به : « اشبيك » ؟ وتعني ماذا جرى لك ؟.. ولا جواب

يقنعه مهما كانت الاسباب ! ثم وجه حديثه الينا : « انتم موقوفون ، احترموا انفسكم » وامرنا جميعاً بالهرولة من جديد ، لم يكن باستطاعتنا غير التسليم ، واذا بقاسم يهوي مجدداً الى الارض وهو يلهث ويتنفس بصعوبة ، . . اخذوه الى المستشفى في الطابق الاسفل مربوطا بالسرير وقد تبين انه مصاب بالسل الرئوي (التدرن) ، والله يعلم اي دواء اعطوه ! ثم اعادوه الى الزنزانة للنقاهة !! وهو في سعال مستمر وحرارة جسمه آخذة بالارتفاع وقد بدأ وجهه شاحباً ، والعجب ان المحقق لا يرى في كل ذلك حالة مرضية بل اهمل معالجته ، وهو على هذه الحالة يؤخذ مكبلا معصوب العينين للاستجواب ! . . ويا للسخرية ! يأمره المحقق بالرقص والغناء باللحن السوداني !! وفجأة يتبدل مزاج المحقق ويصرخ به : « قل الحقيقة ، لماذا ذهبت الى ليبيا ؟ هل قرأت الكتاب الاخضر ؟ ما هي علاقاتك بالقذافي والخميني ؟ . » .

وببساطة يجيب : لقد تركت السودان كلاجىء سياسي وقصدت العراق للبحث عن عمل .

ـ المحقق : حسنا ، حسنا ، اذن لا تريد الاعتراف بالحقيقة . .


من طـرق التعذيب ، تثبيت
الاذن بـالمسمار الى الحـائط
وعندمـا يتعب المعتقـل أو
يغمى عليه يسقط الى الأرض
فتنخرم أذناه .
التعذيب
بقطع الكف
بالمنشار اليدوي
وغالباً بالمنشار
الكهربائي .

● الفصل السادس

(جرجيس) رجل مسيحي من مدينة كركوك و (اوسكار) مسيحي كاثوليكي من الفلبين ، كانا معنا في الزنزانة ، الأول قضى شهرين في المعتقل والثاني ستة اشهر ، يجيدان اللغة الانكليزية والتحدث بها بطلاقة . . تذكرا عيد رأس السنة الميلادية عند حلول شهر كانون الأول وتمنيا لو يقضيان العيد بين عوائلهما واقاربهما ، مر العيد وبقيا في الزنزانة ، وتوقعا ان يطلق سراحهما ليلة بداية العام الميلادي الجديد ، ومرت الأيام والأثنان لا يزالان في السجن .

اعتدنا في الزنزانة ان يتعرف كل منا على الآخرين لمعرفة قصة اعتقالهم ، ثم يقارن ذلك بخطورة قصة اعتقاله ، ومنها يستنتج ما اذا كانت تهمته سهلة وكم سيبقى في المعتقل .

سألت جرجيس : ماذا فعلت حتى اعتقلت ؟

اجابني : « لا شيء ، انما تهمتي اني لم احترم (السيد الـرئيس) . ويقصد صـدّام حسين . . . . كنت في حـالـة عصبية وسحقت احدى الجرائد التي كـانت فيها صـورته ، عندها كتبـوا عني اني أهنت رئيس الجمهوريـة ، واني مجرم أعمل ضد حزب البعث » .

يـا تـرى . . كيف يعيش العـراقيـون في ظـل هـذا النظام ؟ .

وبعد هذه الحادثة عرفت انه نادراً ما ترى المطبوعات اليـومية او الأسبـوعية أو الشهـرية وهي خـالية من صـورة الرئيس وان استخدام هذه المطبوعات في غير المطالعـة يعني الاستخفاف بالرئيس !!

سَرَت مـوجـة من الأبتهـاج بـين السجنـاء . فهم يتوقعون اطلاق سراحهم في هـذا الشهر (كـانون الثـاني) لـوجود منـاسبة ٦ كـانون الثـاني ـ عيـد الجيش العـراقي ، حوار وبرهان (من نزلاء الـزنزانـة) يقطعـان بصدور عفـو عام عن السجناء في هذه المناسبة ، اما قحطان فهو يـدعي ان الحارس اخبره بأن (السيد الرئيس) سيصدر عفواً بهذه المناسبة كل عام ، وربما يصدر عفوا هذا العام ايضاً .

قحطان سجين معنـا من مدينـة تكريت ولـه صلات

مع الحراس لوجود معرفة شخصية بينه وبينهم فهو الوحيد الذي يسمحون له بالخروج الى الممر ويدخن السجائر ويتحدثون معه عما يجري خارج المعتقل وما يستجد من امور ، ومقابل هذا (المعروف) كان قحطان يتجسس على السجناء حيث يقوم بجمع المعلومات عن اتصالات السجناء فيما بينهم ، والاحاديث التي يتداولونها فيعطيها الى الحارس الذي يوصلها بدوره الى المحقق وبسبب خوفنا منه نبدي له احترامنا .

لدى اقتراب موعد المناسبة ، يتصاعد لدينا الشعور بأمل الافراج عنا ، وكل منا قد حفظ تعداد أيام سجنه ، أبو علي يقول : « اليوم اكمل اليوم الرابع بعد المائة » ، وفيصل يقول : لقد امضى مائة وسبعين يوما ما عدا ثلاثة وستين يوما قضاها في زنزانة منفردة في الطابق الاول اضافة الى اربعة عشر يوما قضاها في « الغرفة الحمراء » .

احطنا بقحطان لنعرف منه ما استجد من أمر العفو العام كانت لديه مسبحة خيطها من نسيج البطانيات في المعتقل امسك باحدى حباتها واغمض عينيه وبدأ يعد من الحبة الاولى ويتمتم : الله ، محمد ، الله ، محمد ، . . . وهكذا حتى انتهت حبات السبحة عند كلمة (الله) فالتفت إلينا بكبرياء واضح وقال : « حتماً أكو عفو » ويعني

انه متأكد من صدور العفو .

مرت الايام وليس هناك من بارقة امل بشمولنا بعفـو (الرئيس) أو ما شابه ذلك حتى قحطان كان يشاركنا ذلك اليأس والقنوط !! .

● الفصل السابع

اسلوب التعـذيب يختلف بين سجـين وآخر ، وهـذا يعتمد على اختيار المحقق للطريقة التي يعذب بها السجنـاء للحصول على الاعترافات .

حسـين ، رجـل من المـوصـل[1] كبـير السن يعمـل فلاحاً ، ومنذ ستة أيام لم يعط كسرة خبز أو رشفة مـاء ! ، ولعـل سمنته وهيكله الضخم سـاعداه عـلى تحمـل الجـوع والعـطش ، وعندمـا أعطي الطعام للمرة الأولى كـان يفتح عينيه بصعوبة بالغة لكي يرى مـا يأكله ، وطيلة هـذه المدة لم يـذق طعم النوم ، فحينـما يختلس فرصـة ليغمض عينيـه يفـاجئه الحـارس بلطمـاتـه وركـلاتـه فيستفيق من جـديـد وهكـذا . . حتى ابيضت عينـاه من السهـر وبـدأ كـلامـه متقطعـاً مصحوباً بحشرجة واضحة .

---

(١) مدينة تقع في شمال العراق على نهر دجلة فيها جامعة وقاعـدة جويـة ومنطقة عسكرية كبيرة وتعتبر من المـدن المعروفـة بالالتـزام الديني في =

بعد أن استعاد قليلاً من حيويته كان يجلس بـالقرب منّي، اما سبب اعتقاله فيوضحه بقـوله : « كنت اتـردد على المسجد بشكل منتـظم تقريبـاً فظنـوا اني متدين ولا بـد من كوني منتمياً الى حزب الدعوة الاسلاميـة[1] » ثم حذرني « أياك وذكر حزب الدعوة لأن السلطة ستشنقك » !!

عـدد المعتقلين في الـزنـزانـة في تغـير مستمـر ، كنـا ثلاثمائة معتقل وانخفض العدد الى مائة واستمر بـالتناقص الى أن بلغ ستة وثمانين معتقلاً مما جعلنا نرتاح في بسط أرجلنا والاستسلام لنوم عميق . . أما قبلاً فقد اخترع رئيسنا طريقة بارعة للنوم، كل سجين يتبادل مع زميله فترة النوم، فعندما ينـام صاحبي فـانا اجلس عـلى جسمـه احيـانـا لمـدة ست ساعات وليس بـالأمكان الحـركة نتيجـة للتجمع الهـائل في الزنزانة ، وضيق المكان ولا أستطيع الجلوس عـلى الأرض لأن الجميع قد تبادلوا وضع اقدامهم كل مقابـل الاخر . .

= العـراق ، فيها قبـر النبي يونس (عليـه السلام) وقبـور بعض الأنبياء والصالحين .

(١) حـزب تأسس عـام ١٩٥٧م على يـد مجمـوعـة من العلماء والمفكـرين الاسلاميين ، فكـره اسلامي وقيـادته شـورى وله مجلس فقهي ، من قـادته البـارزين المفكر الاسـلامي السيد محمـد بـاقـر الصـدر الـذي استشهـد تحت التعذيب في نيسـان عام ١٩٨٠ ، أصـدرت الحكومـة العراقية أمراً بإعدام كل من ينتمي أو يسـاعد هـذا الحزب في بـداية عام ١٩٨٠ .

وبعد استيقاظه تبدأ فترة نومي ويجلس هو على صدري كمن يضيق الخناق على شخص ليمنعه من الهرب !! هكذا كان النوم في الزنزانة .

لم يدم ذلك طويلاً فقد ازدحمت الزنزانة من جديد ،ادخل العشرات من الشباب المصري والاردني فارتفع عدد المعتقلين الى ثلاثمائة معتقل .

نزلاء الزنزانة غالبيتهم من العرب المصريين والاجانب الآخرين اضافة الى مجاميع كبيرة من القمل الذي عشعش في ملابسنا واجسامنا ينتقل بحرية من شخص الى آخر مسببا طفحا جلديا وآلاما مبرحة ، هذه الطفيليات لا تفارقنا فهي تتواجد في كل مكان ، على اجسامنا ، قمصاننا الرثة ، فتحات الازرار ، بالاضافة الى اماكن اخرى تزحف بين طيات شعرنا وخصوصا الشعر المجعد للمعتقلين الافارقة العرب ، وقتل القمل اصبح لعبة نلهو بها لقضاء الوقت لكثرتها فاننا نراها تزحف على الارض وعلى ملابسنا وكنا نتبارى في التقاطها والقضاء عليها .

حرقة الجلد والحكة من الاشياء الملازمة لنا ولن ترى احدنا إلا وهو يهرش جلده ، وفي اليوم الذي يأتي فيه الطبيب يصطحبه الحرس بفتح النافذة الصغيرة الموجودة في الباب الحديدية الضخمة ، ويبادرنا : « من لديه حالة تستدعي العلاج ؟ »، فيتقدم من يحتاج الى مداواة . .

واكثر ما نشكو منه الاسهال والامساك والتهاب الغدد الدرقية وحساسية وحروق في اللسان وسقف الحلق . وداخل الأنف ، أما الطبيب المزعوم فيحمل أدوية معدة سلفاً ، فاذا قال احدنا : اني مصاب بالاسهال ، فانه يعطيه اقراصا حمراء ليزدردها امامه ، واذا كان المعتقل يشكو امساكا فيعطيه الاقراص الوردية ، وهكذا . . اما فيما يتعلق بحرقة الفم والأنف وحكة الجلد فانها لا تعالج بحجة كونها ناتجة عن « الحساسية » والدمار الذي يسببه القمل في غزوه لجلودنا يعالج بمرهم خاص مما يجعلنا نرتاح وننتعش لبعض الوقت ، فالقمل لا زال موجوداً لكن اعداده قلت الى حد كبير !! . السجناء يختلفون في وضعهم ، فهنا تجد اللاجئين السياسيين ، المخالفين للسلطة ، المهربين ، اللصوص ، متعاطي البيع والشراء بالعملات الأجنبية ، الفاسدين الضالين من اصحاب الجرائم الأخلاقية ، بالأضافة الى اشخاص متهمين بالتجسس كما حصل بالنسبة لي !!

فمثلاً ، جواد ، يبلغ من العمر ١٩ عاماً لم يحسن رسم صورة صدام وبسبب ذلك اعتقل .

حسن اعتقل لأنه كان يتردد على زيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء .

عبد الرب اعتقل بسبب كتابته مقاطع من كتاب نهج البلاغة في دفتر ملاحظاته .

مصطفى تركماني الأصل اعتقـل للأشتبـاه بشخص اخر تركماني اسمه مصطفى ايضاً ومـطلوب من قبل جهـاز الأمن .

جاسم اعتقل بسبب حيازته للأسلحة .

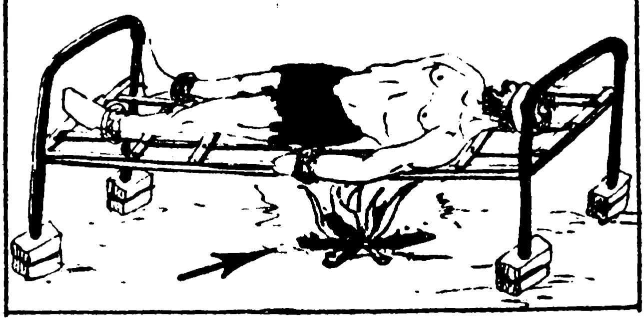
ابراهيم اعتقل لأنـه تحدث امـام مخبري السلطة عن ضرورة وقف الحرب العراقية ـ الأيرانية .

ابو منصور لا يعرف سبباً لأعتقاله .

محمود رجل نصف مجنون اعتقل بسبب رميه احذيتـه على الضريح المقدس في النجف .

وهناك شخص هندي اسمه كيهار كـوشال ، واثنـان من باكستان دخـلا العراق بـدون تأشيـرة وآخر دخـل دون جواز سـفـر ، وشخص من الهند تلاعب بجواز سفره في محـاولة لتجـديد تـأشيرة نـافذة . . . وهكـذا ففي الزنـزانة خليط من الأشخاص بتهم مختلفة غريبة .

التعذيب بوضع المعتقل على سرير حديدي وإشعار النار أسفل السرير ليشوى لحم الضحية أو ليعترف .



● الفصل الثامن

في غـرفـة عـلى مستـوى جيـد من الانـارة ، جلس المحقق على كرسي فخم خلف منضدة كبيرة وامامه ماسكة ورق .. في لقـائي الأول معـه عمـد الحـارس الى رفـع العصابة عن عيني قليلاً لكي تسمح لي بالنظر الى المحقق ، وكـانت فرصـة لأن ارسل نـظري في ارجـاء الغـرفـة ، في الغرفة وعلى جانب منها مجموعة من المقاعد المخملية صفّت بشكل مرتب ، وكانت هناك مجموعة من المنضدات ، وعلى الحائط صورة متقنة الطباعة والاخراج الفني يحيط بها اطـار خشبي سميك وهي صورة لصدّام .

قدموا لي كـرسياً لأجلس عليـه ، فتعجبت من ذلك وكأنه قد جيء به بـالخطأ الى هـذه الغرفـة فهو صغـير جداً وتصورت انه قد جيء به من روضة الاطفال ، وغير محكم التركيب ومضعضع .

أما الاسئلة الأولى فكانت تتعلق بهويتي الشخصية ،

تاريخ عائلتي واقاربي من الدرجة الأولى ، وبينها كانت عدة استفهامات واسئلة متفرقة .

سألني المحقق : هل تصلي ؟ فاجبته : نعم .

بدا لي السؤال غريباً وفي غير محله ، لكن فكرت انهم ربما يقصدون من السؤال التأكد من كوني مسلماً أم لا مما عزز الشعور لدي بانهم سيساعدونني ، لكن بعد ايام عرفت ان هذا السؤال هو الشراك الذي وقعت فيه .

المعتقلون المرتكبون لجرائم مختلفة أو أعمال منافية للآخلاق سرعان ما يطلق سراحهم فمثلاً تجار الدعارة ، مدمنو المخدرات ، المهربون ، الجانحون اخلاقياً وغيرهم اولئك يطلق سراحهم خلال اسبوعين او ثلاثة لانهم يساهمون في عملية مسخ الاسلام التي دأب عليها النظام .

سمير شاب مصري يبدو هادئاً ومؤدباً في الزنزانة لكن قصته مدهشة ، فقد سافر مع بعض الأجانب في أحد الباصات وفي الأثناء قدم الشاي الى أحد المسافرين وقد وضع في الشاي عقاقير منومة ، وما هي الا لحظات واذا بالمسافر يغط في نوم عميق مما حدا بسمير الى ان يسرق ما في محفظة المسافر .

هناك صبي لعوب ضرب ضرباً مبرحا وحكم عليه بالسجن لعدة سنوات لكنه اطلق سراحه بعد شهر وقد

شاهده بعض زملائي في الزنزانة من الذين اطلق سراحهم واعيدوا ثانية بتهمة الهروب من الخدمة العسكرية .

النظام البعثي لا يسمح بممارسة النشاط الديني والعبادات حتى في السجن ، ففي احدى الليالي وفيما نحن على مائدة الطعام المؤلفة من صمون يابس وحساء كالماء لا طعم له ولا نكهة فيه ، دخل علينا شاب يدعى (محسن) كان هنا قبل ستة اشهر بعد ان اوقف معنا لمدة اربعة اشهر ، وكلنا يرغب في معرفة قصته ولماذا عاد ؟ فدعوناه الى تناول الطعام .

(محسن) من مدينة سامراء كان صامتا طيباً يؤدي الصلاة بانتظام ثم يجلس للذكر والتعقيبات ويواظب على العبادات المستحبة ، وبعد ان توطدت العلاقات الودية بيني وبينه سألته يوما عن قصته فرفض الافصاح عن اي شيء بحضور الآخرين ، لكن في صباح مبكر لأحد الأيام وفيما نحن في خلوة قرب المغاسل حيث كنا نتوضأ لصلاة الصبح شرح لي بالتفصيل قصته « كنت أتردد على مسجد وضريح الامامين العسكريين[1] فاتهموني بالعمل مع حزب الدعوة الاسلامية وأوقفت هنا لمدة أربعة أشهر ولم يحققوا

(١) الإمامين العسكريين هما : الامام علي الهادي هو الإمام العاشر لدى الشيعة الإثنا عشرية وولده الامام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر ، استشهدا ودفنا في سامراء شمال بغداد .

معي غير مرة واحدة ثم أرسلوني الى سجن (أبو غريب) حيث مكثت هناك ستة أشهر تعرفت خلالها على حارس السجن وتوثقت علاقتي به مما خفف عني لفح سياطهم وصفعاتهم فكتبت الى مدير جهاز المخابرات موضحاً له اني لا أعرف التهمة الموجهة الي ولا مدة اعتقالي ولم أقابل أحداً ، عندها أعادوني مرة اخرى الى هنا ، ذهبوا بي الى الطابق الأسفل للتحقيق لكنهم لم يعثروا على اضبارتي الا بعد جهد من البحث والتنقيب ، ولم يكتب فيها شيء ضدي غير ان رأيي تجاه سياسة حزب البعث لم يكن واضحاً فتصوروا اني متدين متعصب مثقف اسلاميا وحركيا ومن اتباع حزب الدعوة الاسلامية » .

بقي (محسن) في الزنزانة لمدة عشرة أشهر وعدة أسابيع دون تهمة ثابتة عليه .

حزب البعث الحاكم في العراق يرسل الشباب الى غياهب سجون مظلمة وتنسدل عليهم ستارة النسيان والاشخاص المتدينون في الزنزانة كانوا تحت المراقبة الشديدة من قبل الحرس وضباط المخابرات الذين يترددون على الزنزانة بين فترة واخرى ، فمن وجدوا عنده مسبحة كان ذلك كافياً لان يصبوا جام غضبهم عليه !

حبات المسبحة مصنوعة من الخيوط والقطع الصغيرة المنفصلة عن البطانيات حيث تظهر بشكل منسق وجميل

بعد جهد كبير ، وكانت هذه تسليتنا في الزنزانة الرهيبة ، وكنا نسبح وايدينا ممسكة بالمسبحة تحت البطانيات التي نضعها على وسطنا أعلى الركبتين ، ومرة رأى الحارس (رائد) احدنا وبيده المسبحة بلونها القهوائي الجذاب فاحمّر وجهه من الغضب ، عندها فتحت الباب الحديدية الضخمة وبدأ البحث عن المسبحات . . . اكثر من خمس وعشرين مسبحة وجدت لدى المعتقلين فأخذوها منهم وسيقوا الى الممرات لمعاقبتهم وكنا نسمع وقع السياط ذات الرؤوس المتشعبة وصراخ السجناء وعويلهم : « سيدي سيدي ، العفو العفو » .

القرآن غير مسموح بادخاله الى الزنزانة والصلاة اليومية بالرغم من كونهم يسمحون لنا بأدائها إلا انهم يواجهوننا بالسخرية والاستهزاء .

محمد علي ، من مدينة السماوة وقف مرة يتهجد في منتصف الليل قرب الباب حيث ان المكان مزدحم جداً ، وخلال الركعة الاخيرة من صلاة الليل (الوتر) وفيما هو رافع يديه للقنوت ظهر (ابو محمود) وهو يلقي نظرة من النافذة الصغيرة مزمجراً : « اي صلاة هذه ؟» . . . ولا احد يجرؤ على الجواب ، اما (محمد علي) فقد اسرع في صلاته واولئك الذين هم انصاف نيام - مثلي - تظاهروا بالاستسلام للنوم .

تسمر ابو محمود الى الارض الى ان اتم محمد علي صلاته فقال له بغرور وعنجهية وعلى وجهه ابتسامة صفراء : « لو كان الله يسمع دعاءك لما كنت هنا » !!

نعود الى التحقيق معي ، فقد استمر استجوابي على ما سبق ذكره ، وبادرني المحقق :

« هل تتكلم اللغة العربية أو الفارسية ؟ » .

ـ كلا . . .

ـ هل تقرأ القرآن ؟

ـ نعم .

ـ كيف تستطيع قراءة القرآن وانت لا تجيد التحدث باللغة العربية ؟ فأجبته موضحاً : « هذا شيء متعارف في بلدان العالم الاسلامي من غير العرب ، فنحن نتعلم الحروف الهجائية العربية ، ونتمرن على حفظ وتلاوة القرآن من غير اطلاع كاف على اللغة العربية » .

ـ لماذا جئت لزيارة العراق ؟

ـ جئت لزيارة الاربعين[1] .

(١) زيارة الأربعين : تصادف مرور أربعين يوماً على استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) في ٢٠ صفر وقد حدثت انتفاضة كبرى في عام ١٩٧٧م في العراق في هذه المناسبة وقاومتها السلطة بعشرات =

- ومن ارسلك الى هنا ؟

- لا احد ، جئت برغبتي وعلى نفقتي الخاصة .

- انت تكذب ويجب ان تعرف باننا نحترم ونقدر من يصدق في جوابه ، وإذا بدأت بالكذب علينا فسنعاملك كالحيوانات وأشد من ذلك ، هل فهمت ؟

- نعم ، لكني لم أكذب .

عندها سحب المحقق كرسيه واقترب مني فاحسست بان الدنيا قد اسودت بعيني . . لكن شيئاً لم يحدث ، وسألني : هل أنت من آيات الله ؟

عدت الى نفسي ، هل انا كذلك ؟ يبدو أنها خدعة ، ولا أدري ما الذي دعاهم للتفكير بأني من آيات الله ، فليست لي لحية وقد حلقوها في الزنزانة ، ثم تذكرت أنهم وجدوا « الرسالة العملية »[1] لآية الله الخوئي وبعض رسائله ووصولات استلام « الخمس » .

= الدبابات وعدة طائرات ميغ مقاتلة اضافة الى طائرة هليكوبتر وتمّ قمع الانتفاضة بعد اعدام العشرات واعتقال المئات من زائري مدينة كربلاء المقدسة .

(١) الرسالة العملية : هي مجموعة من فتاوى المراجع الكبارى تنظم وترتب ليسهل الاستفادة منها من قبل مقلدين ذلك المرجع في المسائل الشرعية .

فاجبتهم : كلا ، لست من آيات الله .

ـ ما هي علاقتك بالخوئي ؟

ـ هو مرجع وانا اقلده في المسائل الشرعية .

ـ وما هي علاقتك بالخميني ؟

ـ لا علاقة لي به .

ـ هل تعتقد بانه رجل أحمق ومسؤول عن الدمار وقتل آلاف المسلمين ؟ فلم أجب . . حقا انها وقفة مؤلمة وخطيرة ، واذا بلكمة قوية سددها المحقق الى فكي جعلتني اهوي الى الارض واسقط من الكرسي .

ـ انت اذن جاسوس للخميني !!

وبهذا العنوان ارسلوني الى هذه الزنزانة .

● الفصل التاسع

الـدوام الـرسمي يبـدأ في سـاعـات الصبـاح الاولى ويتوقف عند الظهر بعـدها يستـأنف حتى منتصف الليل ، وفي المساء يستدعى الموقوفون للتحقيق والتعذيب !! .

عـطلة نهاية الاسبـوع تبدأ عـادة من بعد ظهـر يـوم الخميس وتستمر حتى صباح يوم السبت وفيها تبـدو الامور هادئة ، ويعد يوم الجمعة من أفضل الأيـام حيث يقدمـون لكل معتقل بيضة مسلوقة في الفـطور وفي الايام الاعتيـادية تقدم الشوربة (الحساء) وتكـون على شكـل عجينة تنبعث منها رائحة كريهة ، مع صمونتين داخلهما عجينـة ولا يؤكل منهما سوى القشرة الخارجية ، والبيضة المسلوقة تعتبرها هبة من الله ولطفاً منه !

حـدث ذات مرة ان كـان عددنـا في الـزنـزانـة ستـة وثمـانـين معتقـلاً . فتـح الحـارس النـافـذة وهتف : « كم واحـد ؟ » . وتعني « كم هو عـددكم ؟ » فأجـابه رئيسنـا ـ

بعـد ان استجمع قـواه وشجاعتـه ـ: « مائتـان وأحـد عشر شخصا ، والله ! » فناولنا الحارس وعـائين مليئـين بالبيض غطت احتياج كل واحد منا لمدة ثلاثة ايام !! .

ضجة في الخارج جلبت انتباهنا فكانت عربـة الاكل وأحـــدهم يصـرخ : « غـــداء غـــداء » ، نصـــطف ضمن مجموعات كـل مجموعـة مؤلفة من عشـرة اشخاص فتـوزع علينا اوانٍ بلاستيكية ، اما الغداء فهو : رز نصف مطبوخ كثير الزيت يوضع في اوعية بلاستيكيـة كبيرة تشبـه الى حد مـا البانيـو المستخدم في حمـام الاطفال ، ولحم مجمـد عـلى شكل قطع في حسـاء حاد المـذاق ، ويبدأ رئيسنا بتـوزيع الطعام حسب ارادته ! .

بعض قطع العظام المـوجودة في الـطعام نستفيـد منها لصنع ابر خياطة وطريقة عملها كالآتي :

نقوم بتنظيف العظم ونجففـه ، بعد ذلك نـدلكه بالارض الصلدة لساعات وأحيانا لأيام حتى نعمل في نهايته شكلا مدبباً ثم نسطح الطرف الآخر ونثقبه بمسمار ننتـزعه من الاحـذية المـوجودة في المشجب ، علما بـان ذلك عمـل محـظور ويعاقب عليـه كعمل المسبحـة التي تحدثنـا عنهـا في فصل سابق ، ابـرة الخياطـة هذه نخفيهـا في محل أمـين أما الخيوط فنأخذها من القمصـان والقطع القـديمة ونقـوم بعد ذلك بخياطة قمصاننا او بيجاماتنا الممزقة ، !! .

هكـذا ينقضي الـوقت وكـأننـا نعيش في القـرون الـوسطى حـين كـان الانسـان يستخـدم الآلات والادوات المصنوعة من العظام !!

أبو فهد رجل من الدروز في سـوريا احتفظ بـأحدى هـذه الأبر للذكـرى وقال : « سـأخذهـا معي بعـد اطـلاق سراحي لاضعها في المتحف !! » .

في وقت المساء وعند اقتـراب موعـد توزيـع الشـاي يصـرخ رئيسنـا : « دولكـاتكم يـا اخـوان دولكـاتكم » (والدولكـة في اللهجـة العراقيـة تعني القارورة او الابـريق وهي غالباً ما تكون مصنوعة من البلاستيك) .

تملأ الدولكة بالشاي الاسود الداكن الذي تفوح منه رائحة الكافور وطعمه حلو جداً ويكفي لعشرة اشخاص ، واذا عثرنا على فتات صمـون يابس فـاننا نقـوم بغمسها في الشاي واكلها .

وللدولكـة استخـدام آخـر حيث نملؤهـا بـالمـاء من الصنبـور (الحنفية) وعـادة يكون سـاخنا نتـركه حتى يبـرد فيصطف عشرات المعتقلين لكي يرووا عطشهم واحيـانا لا يكفي هذا الماء لارواء العـطش فيكون عنـدئذ نصيب كـل معتقل رشفة مـاء تبلل شفاهـه !! وخلال الاشهـر الاربعة واليـومين التي قضيتهـا في الزنـزانة لم اذق طعم المـاء البارد

سوى عشرة ايام فقط وذلك في احدى المناسبات الرسمية العراقية ، وعادة ما يُجيبنا الحارس : « لا ماء بارد هنا يا سادة فانتم موقوفون ولستم في بيوتكم !! » .

ماء الاستحمام نضعه في حوض بلاستيكي كبير (جرن) ونخزنه فيه واحيانا يصبح الماء غير صالح للاستخدام .

فالدولكات تخزن فيها الماء للشرب والوضوء والاستحمام وغسل الملابس وللتنظيف في التواليت (المرافق الصحية) .

حينما تتوسخ ملابسنا الرثة لا نستطيع غسلها دفعة واحدة لاننا لا نملك اخرى نرتديها ، ولذلك نقوم بغسل القميص اولاً ونحركه في الهواء ليجف ، ثم نلف به الجسم ونغسل سروال البيجامة ، واذا صادف وطلب الشخص من قبل المحقق وهو على هذه الحال فانه يرسل الى التحقيق والماء يقطر من بيجامته !! والحارس يصرخ به : « هرول يا ملعون لا ام لك » . .

● الفصل العاشر

دخل الزنزانة شاب مصري وهيأته تشير الى مدى الأنهيار الذي يصاحبه فحشره رئيسنا بين صفوف المعتقلين وجلس بصمت وهدوء وكالمعتاد فقد تحلقت حوله مجموعة من السجناء لتعرف قصته لكنه ألتزم الصمت وفجأة فتحت النافذة وأطل منها الحارس وزجر :

« وين هوه هذا المصري ؟ » وتعنى أين الشخص المصري المعتقل ؟

فأجابه رئيسنا بأنه جالس الى جانبه ، فردّ الحارس :

« يُمنع التحدث معه ، هل فهمتم ؟ » .

ثم تواریٰ عن الأنظار وأُغلقت النافذة .

بعد ساعتين ، جاء (مجيد) وهو الضابط المسؤول عن مخزن الأمانات (أي حاجيات السجناء من ملابس وما شابه) ، جاء الى الزنزانة وأستدعىٰ الشاب المصري وبدأ

سيل الأسئلة . . أشعل مجيد سيجارته وسأله :

« من أين جئت بالدولارات ؟ » ـ والله لا أدرى . .

ـ أذن أنت لا تدرى . . هه !! وصفعه على وجهه ثم تناوله بالسوط .

ـ والله سيدي لا أدرى .

وفي هذه الاثناء ركله على ركبته ، فاختل توازنه ، وحينما حاول السيطرة على نفسه تناوله مجيد باللكمات والسياط ، فأخذ يبكي بمرارة .

فصرخ به مجيد :

ـ مد ذراعك !

وأذا بشيء ساخن يضعه على ذراعه ، فصرخ بصوت عال وأستسلم للبكاء .

وعندها كبله الحارس من رقبته وسحبه خارج الزنزانة وأغلقت الباب خلفه .

ولم اكن احسب انه سيرجع الينا سالماً وهو على الحالة التي خرج بها من الزنزانة !! .

لكنه رجع الينا مستبشراً مسروراً لأنه اعترف واعطى أسماء الأشخاص الذين يتداولون معه العمليات المالية غير القانونية !!

غـرفة الأمـانات ، هي محـطة للدخـول والخـروج ، فعنـدما اقتـادوني وزوجتي من مطار بغـداد الـدولي (مـطار صدّام) مخفورين في سيـارة خاصـة اعطوني منـديلاً ابيض وطلبـوا مني أن اعصب بـه عيني زوجتي ثم عصبـوا عيني بالشال الذي كنت أضعه حول رقبتي .

اسرعت السيارة التي تقلنا ، وعندمـا دخلنا الشـارع الرئيسى في المدينة امسكت زوجتي بيدي وسألتني : الى اين يأخذوننا ؟ هل نحن ذاهبان للقتل ؟

فأضطرب قلبي من هول المفاجأة واجبتها بعصبيـة : لا ادرى ، لكننا ضيوف الأمـام الحسين ، والله معنـا ، فلا تيأسى !

دخلت السيـارة منحدراً ثم تـوقفت . ترجلنـا وليس لدينا اي تصور عما سيؤول اليه مصيرنا وادخلونا غرفة كأنها مستودع كبير وتلك هي غرفة الأمانات .

الغـرفة مليئـة بالحـاجيـات المختلفـة ، كـالملابس ، الأحذية ، الصناديق الكبيرة ، الأسلحة ، العتاد الحـربي ، السكاكين ، وغير ذلك ، وقد غطاها غبار كثيف .

ـ اقعــد ، صـرخ بي أحــد الحـراس ، لكني لم أكن أعرف ماذا يقول (لأني لست عربياً) ، وادركت انه يأمرنـا بالجلوس .

فامتثلنا ، وكان (مجيد) يجلس في الزاوية على كرسي خشبي وهو مشغول بالكتابة ، وخاطبنا : اخلعا ملابسكما وسلّما جميع ما تمتلكان ، ولتذهب زوجتك الى الغرفة المجاورة ، هيا بسرعة !!

أُعطيتُ بيجامة قديمة رثة وأُعطيتْ زوجتي ثوباً بالياً ، ثم تقدمنا الى المنضدة للتوقيع على قائمة الحاجيات من الملابس وغيرها ، وبعد ان انتهينا من التوقيع نظر اليَّ مجيد شزراً وقال :

ـ جاسوس الخميني !!

لم أجبه وتظاهرت بأني لم افهم ما قاله .

ـ سترى النار قريباً وقريباً جداً !!

وعندها أحسست وكأن الأرض قد تزلزلت تحت قدمي وللمرة الأولى اسمع بأني متهم ومشكوك في أمري ، جفّت شفتاي من الخوف والقلق ، أما زوجتي فقد كانت تبكي بصمت ، .. وما سيأتي اسوأ !!

وضع الحارس القيود في معصمي وعصب عيني وفعلوا ذلك مع زوجتي ثم اخذونا وساروا بنا في ممر متعرّج حتىٰ خيّل الينا ان الممر ليس مستقيماً حتى وصلنا الى المصعد ففرّقونا ، وعندها تمتمت زوجتي :

ـ أين أنا ذاهبة ؟ سأموت !! أنهم سوف يقتلوني . . ارجوك لا تتركني ، لا تذهب !!

وتلاشت كلماتها بعد ان ارتفع بها المصعد ، ولم أرها الآ بعد أربعة أشهر !! .



منظر من سجون العراق ربط
المعتقل الى مدفئة نفطية وحرق
إليته بشكل تدريجي

المثقفون واصحاب الكفاءات المختلفة ليس لهم أي تقدير في العراق .

واغلب الشباب الذين يقضون مدداً غير محدودة في السجون والمعتقلات هم على مستوى عال من الثقافة والتحصيل العلمي الرفيع والوعي السياسي ، وطليعة المجتمع ، أما جرمهم فهو انهم ينتقدون النظام بصراحة ويشكلون التنظيمات السياسية ، والحقيقية انهم ليسوا جميعاً من المتدينين المسلمين لكنهم يشتركون في حالة كونهم مظلومين وابرياء وهذه الحالة موجودة في أغلب البلدان العربية .

شاب جلس في احدى زوايا الزنزانة وقد سرح في خياله ، يتكلم مع نفسه ويضحك دون مبرر ، في مقتبل العمر ، رزين وملامح وجهه تدل على الوقار ، تصورنا انه مجنون لما يقوم به من حركات غير طبيعية ، غير اني عرفت

ذات يوم بأنه شاعر ، نظم شعراً عن المارد الأسلامي الجبار ، وكان يقرأ لنا شيئاً من شعره في بعض الأحيان .

عرف المحقق ـ وبطريقة ما ـ بأن صاحبنا يجيد نظم الشعر من حيث الوزن والقافية ، اما في الزنزانة فقد كنا نتسلى بسماع شعره حيث لا عمل لنا غير قتل الحشرات ، خياطة الملابس الرثة ، الأستحمام ، الصلاة والدعاء ، التفكير في المستقبل والمصير المجهول ، الشجار لأتفه الأسباب ، وتذكر عوائلنا وعندها تنهمر الدموع وتنطلق أهات الألم واللوعة .

عاد هذا الشاعر مرة من التحقيق يرتجف خوفاً وقد احمر وجهه جرّاء اللطمات واللكمات وقد كسرت اسنانه الأمامية وبيجامته ملطخة بالدماء وهو يشكو من ضربة على اعضائه التناسلية ، ففي خلال ساعة ونصف من الأسئلة المتعاقبة لم يمهل لحظة واحدة فيها اساليب التعذيب تتوالى فيصل يدرس في إحدى جامعات بغداد وقد ترك الأردن لأنه لم يعد يحتمل الظلم والجور وجاء الى العراق كلاجىء سياسي واستقر في العراق وتزوج ، وبعد عام من زواجه رزق طفلاً فرح به كثيراً حتى بلغ من العمر شهراً واحداً حينها تم أعتقاله .

اتذكر مرة انه ذات صباح استيقظ والدموع تنحدر

على وجنتيه فقد رأى في المنام زوجته وطفله الرضيع وقد كبر واستقبله بأبتسامة جميلة من على ذراعي أمة ناشراً يديه : بابا ، خذني اليك وفي احضانك ، قبلني . .

بكى فيصل ساعة وكان في حالة مؤلمة ، ورغم كونه متخصصاً في علم الرياضيات الا انه كان يفيض انسانية ويبدو ان محنته قد انتهت لكن الأحتجاز الطويل زاد في عذابه فهو طيلة الفترة التي قضيتها معه في الزنزانة والتي استغرقت اربعة أشهر ويومين لم يستدع للتحقيق مرة اخرى .

اما سبب اعتقاله فيعود الى انه عندما كان يدرس الرياضيات يعرج احياناً الى الوضع الملتهب في الشرق الأوسط ويتحدث بشكل صريح عن الظلم والأستبداد في مملكة الأردن والأقطار العربية الأخرى وهو لا يدري بأن مخبري السلطة العراقية متواجدون في كل مكان . فقد كتب عنه بعض طلابه واوصلوا اخباره الى جهاز المخابرات الرهيب الذي وضع يده الحديدية عليه والقاه في غياهب هذا السجن المظلم ! .

ـ انت لا تستطيع تصور ما فعلوه بي .

قالها مرة (وعلى ما يبدو فقد خففوا عني هذه الايام التي لا تقارن بما مر علي خلال الايام الماضية فسيل

الصوندات يلفح جلدي ويمطره باللسعات حتى يزرق ثم يسود ويعود مرة اخرى مزرقاً ، فانا الان في حمام الدم !! » .

الجيل الحاضر في العراق وفي عدة اقطار عربية اخرى في سقوط وضياع واولئك الذين اختاروا العيش بلا هدف وهدروا وقتهم وعمرهم الثمين بالاستهتار والفساد فأنهم فقط الذين يعيشون خارج جدران السجون .

اما الشاب الذي يملك فكراً ولديه قناعة واقعية بالحياة ومتعلق بعقيدته الاسلامية ، صريح في بيان افكاره ومتبنياته فان جميع الطرق تؤدي به الى المشنقة !! .

فالشباب المسلمون اليوم يتعرضون لعملية غسل دماغ منظمة ، والشاب المسلم النشط الواعي اما ان يعدم أو يهرب الى خارج العراق .

يحيى طالب يدرس علم النفس جاء من الكويت ، وعادة فان علماء النفس لهم مشاكلهم النفسية الخاصة . هجرته زوجته متهمة أياه بالعجز والضعف ، فاصبح من المستحيل عليه العيش في الكويت لذا جاء الى العراق للعمل ، وكانت مادة بحثه « سلوك الانسان » وعند مناقشته لهذا البحث ضرب مثلاً من التاريخ ، فشك النظام البعثي في امره والقى القبض عليه قبل ان يتمكن

من اكمال مناقشته ، فقد اختطف في مدينـة كربـلاء واودع سرداباً مظلماً تفـوح منه رائحـة كريهـة لانها مستودع للبـول والغائط . بعد ذلـك وفي سجن الشرطـة وقبل ارسـاله الى زنزانتنا تعرض لاعتداء جنسي من قبل الحرس !! .

ولا يحتـاج الامر بعـد ذلـك الى تفصيـل فهـو يصف حالته وتجربته المرة بقوله : « ان هؤلاء الحرس حيوانات بل وحوش !! » .



السحب بواسطة
سيارتين متخالفتين
طريقة للتعذيب وقتل
السجناء السياسيين في
العراق

● الفصل الثاني عشر :

كمال ، شاعر أفاق من صدمته على الرغم من ان آثار التعذيب لا زالت على جسمه وفيما هو يتذكر الصفعات ولفحات السياط تتناوب على جسده رأيناه يضحك ، وقال بتهكم :

« لقد اخبرتهم ، نعم اخبرتهم بأن قانونهم شبيه بشريعة الغاب » ، ويبدو عليه السرور لأنه نجح في إثارة المحقق !!

فيصل ، طلب منه توضيح ما حدث بالتفصيل وان يقرأ عليه شيئاً من القصيدة الشعرية التي اثارت حنق المحقق ، فأستعد كمال لتلبية الطلب ، لقد كانت القصيدة طويلة جداً بحيث لم استطع حفظها بكاملها لكني ما زلت احفظ بعض مقاطعها .

عند دراستي للتاريخ الأسلامي كنت اعجب كيف ان اصحاب النبي والأئمة عليهم السلام يستطيعون حفظ

الأحـاديث الشريفـة والأدعية المأثورة الـطويلة ويـوصلونها بامانة الى الأجيال اللاحقة . لكني الآن ادركت ان الأنسان عندما يفتقد الاداة التي يستطيع بها تسطير مذكراته ويعتمـد على ذاكرته فالذاكرة تصبح عندئـذٍ اكثر قـابلية عـلى الحفظ عما كانت عليه في الحالة الطبيعية .

بقيت في ذاكرتي مقاطـع من القصيدة وبعـد انقضاء عدة اشهر حـاولت ان اكتبها لكن ذاكـرتي خانتني ولم تجـد عليّ الاابأبيات قليلة منها .

وأردف كمـال قـائـلاً : « طلبـوا مني ان اقف عــلى كرسي وانشد الشعـر ، وعندهـا لم يخطر ببـالي غير قصيـدة لصديقي السوري تنطبق ايضاً عـلى واقع النـظام البعثي في العراق ونسيت انني معتقل ! » .

أنا وفيصل وفتحي كنـا متلهفين لسمـاع ما قـاله من شعر عند المحقق ، وشجعناه ليبدأ . حقاً لقد كانت فرصة لخلاصنا من الـواقع المـوحش والطوق الـذي يحيط بنا ويؤلم نفوسنا ولقضاء الوقت الذي تبدو فيـه عجلة الزمن سـاكنة أمـا كمال فقـد استأنس لأنـه وجد من يستمـع اليه ، رمى البطانية جانباً وجلس القـرفصاء وكـأنه استـاذ يحاضر عـلى طلابه بدأ :

لـــم يشهـــد التـــاريـــخ أظلـــم منهـــم
لا ظـلـم فـرعـون ولا هـامـان

فشريعة الغابات تحكم عهدهم
فيه القوى معزز السلطان
ملأوا البلاد مفاسداً ومعاصياً
نشروا الملاهي عند كل مكان
خربوا المدارس في البلاد وافسدوا
طهر القلوب ونخوة الشبان
فصغيرهم قوادهم وكبيرهم
ونساؤهم بالبغي كالقردان
ووسائل التعذيب لم يسبق لها
مثل بكل عوالم الأنسان
ارأيت سوطاً اكله وشربه
لعق الدماء زكية الجريان ؟
اسمعت بالأنسان يسلخ جلده
ارأيت ثقب مسامع الأذان ؟
اسمعت بالأنسان يسحق عظمه
ارأيت كسر هياكل الأسنان ؟
اسمعت بالانسان يشوي لحمه
بالفرن والبابور بالنيران ؟
اسمعت بالانسان يحصر بوله
اسمعت سدّ مخارج الأبدان ؟

قاسم سجين انضم إلينا وعليه علائم التأثر

واضحة ، غطّى وجهه بيديه وبدأ يستمع وقد رأينا دموعه تنحدر على وجنتيه لتسقط على الأرض ، وكالعادة أمسكنا بيديه وطلبنا منه الكفّ عن البكاء ، فرفع رأسه ونظر الى كمال بتأثر طالباً منه الاستمرار . تحرك كمال من مكانه مبدياً موافقته على طلب قاسم وأنشد :

ماذا تؤمل من خسيس غادر
او غير مجد ضائع ومهان ؟
ان البغايا لا يلدن مقاتلاً
ابناؤهن اسافل الولدان

ثم اعتدل كمال في جلسته ونظر حوله بفرح وحبور وكأن الزنزانة بأفرادها تستمع اليه ، فرفع صوته :

انا مسلم والفخر يملأ اضلعي
انا شوكة في أعين الطغيان
انا مؤمن والنور يملأ مهجتي
اسمو به في عالم الأنسان
سأظل اعلن دعوتي متحدياً
ادعو واحمل راية الأيمان

وسمعنا صرير الباب الحديدية الضخمة للزنزانة ، وهذا يعنى ان وقت تناول الطعام قد حان ومنه نستدل على حلول وقت الظهر فيسرع بعضنا الى الحمام ليتوضأ ويصلى .

في هـذا اليوم غـذاؤنـا خـال من اللحم ، امـا الـرز فطبخه غير جيد وهو طاف على الزيت ، شعـر كمال رفـع من معنوياتنا بعض الشيء فالتهمنا الطعـام بشهية وشكـرنا الله على آلائه ونعمائه .


IRAQ
تعذيب السجينات
برفعهن من شعر
الرأس.

● الفصل الثالث عشر :

في اليوم الأول لأعتقالي جاؤوا بي الى ممر طويل انارته خافتة وعندما جلست على الأرض تذكرت انها ليلة الجمعة فأنحدرت دموعي وتساقطت على القيود التي في معصمي ، لم اصدق عيني ، هل ما أنا فيه حقيقة أم أنه كابوس ؟ ! رفعت يدي الى السماء متأوهاً وانا احاول السيطرة على عواطفي وشجوني وقلت : « الحمد لله » .

بعد جهد رفعت الغطاء الجلدي الذي عصبوا به عيني قليلاً الى الأعلى وتفحصت ما حولى . لقد كان المكان مليئاً بعشرات الأشخاص والجميع مكبلون بالقيود وقد عصبت عيونهم . صرخات وأنات السجناء تخترق السكون فخارت قواي وجفت شفتاي وحنجرتي !! .

نظرت الى الحارس ورفعت يدي طالباً الماء ، فنظر الي بتعجب هو وزميله وتمتم :

- اسمعته ؟ انه يريد ماءً .

فضحكا بسخرية وكأني قلت شيئاً منكراً !! لكن زميله قال له :

« هوّه غريب (وتعنى انه غريب) اعطه قليلاً من الماء » .

فأعطاني قدحاً صغيراً من الماء البارد وزجرني بقوله :

« مرة اخرى اذا عطشت فأستأذن وأذهب الى المغاسل وهناك تجد الماء » مشيراً بذلك الى الماء الساخن الذي يجري في أنابيب الأسالة .

عند انبلاج الفجر تحرك السجناء من حولي واستيقظوا من نومهم فوقفوا صفاً طويلاً ينتظرون رخصة من الحارس للذهاب الى التواليت .

يبادر الشخص الاول ويطلب الرخصة من الحارس بتردد :

ـ سيدي !

ولكن لا جواب

ويكرر السجين : سيدي !

وكأن الحارس لم يسمع شيئاً .

فيتجرأ ويرفع صوته متوسلاً : سيدي !

يلتفت الحارس اليه بغضب : أشبيك ؟ (ماذا بك ؟) .

- هل تسمح لي بالذهاب الى التواليت ؟

- اذهب ، اجابه الحارس :

هذا الوضع يدوم طوال اليوم فلا احد يسمح له بالكلام ولا برفع غطاء العين .

علي حارس جديد جاء ليساعد زميله نظر الى فرأى ان العصابة التي تعطي عيني مرتفعة قليلاً ، اقترب مني ونهرني قائلاً : اسحبها الى الاسفل ولا تحاول النظر حولك !

في الحقيقة من الصعوبة وصف الحالة التي يعيشها الأنسان حينما يحرم من التمتع بنعمة البصر التي انعم الله بها عليه ، والحالة تختلف عن العمى ، يا ألهي أي تجربة مرة هذه !!

لا يمكنني تصور الظلام الدائم الذي تسببه هذه القطعة الجلدية السميكة التي وضعوها على عيني . واظبت على رفع العصابة الى الأعلى بحذر وفي غفلة من الحارس للنظر حولي الى المعتقلين ، ثم اعيدها الى وضعها السابق قبل ان ينتبه الحارس .

وفيما انا كذلك سمعت صوتاً يردد : « يا الله يا رحمان كار . . يا الله . . » ، انه صوت لرجل يتكلم لغتي الأم ، فأختلست نظرة اليه عندما جلس على الأرض فكان ملتحياً وفي متوسط العمر ، سحبت نفسي واقتربت منه وسألته : هل انت باكستاني ؟

فذهل الرجل لأنه لم يكن يتوقع احداً على الأقل في هذا المكان يتكلم الأوردو !

فأجابني وكأنه يطلب النجدة : كلا انا من الهند .

ـ ما اسمك .

ـ علي حسين .

ـ لماذا اعتقلت ؟

ـ لأني جئت لزيارة الأربعين .

ـ أذن انت شيعي .

ـ نعم .

واخذنا نتهامس في حديثنا .

على جانبي الممر صف من الزنزانات الأنفرادية وأخرى تسمى (الغرفة الحمراء) وهي غرف صغيرة يسجن فيها اكثر من عشرين شخصاً في آن واحد ، وتسمع منها اصواتاً تسبح الله وتقرأ دعاء كميل والأذان .

بقيت في هذا المكان ستة ايام وانا اتوقع اطلاق سراحي بين لحظة واخرى ، لكن بمرور الزمن تبددت أمالي وسيطر علي القلق لكن السلوى الوحيدة ان الجميع يشتركون معي في المأزق ويحملون نفس المعاناة .

في احد الأيام نادوا على مع مجموعة من المعتقلين فنهضنا وكنا ستة معتقلين ، أمرونا بالوقوف صفاً وكنا مصداقاً للمثل القائل : « أعمى يقود العميان » ، أما علي حسين فلم يستدع فتأثر كثيراً لفراقي وسألني : الى أين أنت ذاهب ؟

فأجبته وأنا لا أعرف المصير الذي ينتظرني : « أتمنى أن يطلق سراحي ، في أمان الله » . فرفع يديه المرتعشتين بالدعاء : « إلهي أرسلني الى حيث يذهب هذا الرجل » .

ذهبوا بنا الى زنزانة في الطابق الرابع ، وعند فتح الباب رفعوا القيود عن معاصمنا والعصابات عن عيوننا ودفعونا داخل الزنزانة لقد كان الجو بارداً في الخارج ، لكن في الزنزانة كان الهواء حاراً الى درجة خانقة ، حيث ان الزنزانة يقطنها ثلاثمائة معتقل مسكين في الوقت الذي لا تتسع الزنزانة الا لسبعين او ثمانين معتقلاً !!

بعد يومين ظهر علي حسين ، كان يعاني من قصر في

النظر ، فتقدمت نحوه مرحباً : « سلام عليكم ، بهاي علي حسين » .

فسمع صوتي وتوقف قليلاً ثم قال : « لقد استجيب دعـائي ، سـألت الله ان يـرسلني الى حيث انت ولا أدري اننا سنكون في هذا الجب المظلم ، يا الله يا رحمان كار » .

● الفصل الرابع عشر :

من الأمور اليومية الصعبة مسألة الوضوء ، حيث ان حرارة الماء الخارج من الحنفية تؤلم اصابعنا وكميته قليلة جداً لدرجة اننا لا يمكننا ملء الكف لغسل الوجه او الذراعين ، لكننا كنا نفضل التجمع قرب الماء لأنه يعطينا فرصة للتحدث الى بعضنا .

في هذا المكان التقيت يوسف وهو رجل مسيحي سوري كان يقوم بغسل جروحه التي تركها التعذيب الوحشي ، فقد كان متردداً في الحديث.مع اي احد لحذره من عملاء المخابرات في الزنزانة ، وادركت ذلك فاظهرت تأثري باشارة من عيني فأجابني بأشارة مماثلة ، وبيّن لي سبب اعتقاله : « لقد قالوا بأني جاسوس لكني في الحقيقة لست كذلك ، فأنا اعمل سائق شاحنة واسافر بأنتظام بين الكويت والعراق ، فأصروّا على ان أعترف بأني جاسوس وانا بريء ، فلم اجب طلبهم ولن افعل ذلك حتى لو قلعوا عيني من محجريهما » .

لقد جربوا معه مختلف انواع التعذيب في غرفة العمليات ، حيث ضربوه بالسياط على كافة انحاء جسمه حتى نزف بغزارة وترك لمدة يومين ، واثناء التعذيب يقف طبيب وظيفته الأشارة بكارت احمر الى الشخص الذي يمارس عملية التعذيب في حالة خطورة وضع الضحية ومشارفته على الموت !! فيتوقف عن ممارسة التعذيب !!

لم يستطع يوسف النوم على البطانية لأن صوفها يلتصف بجلده ويوخزه كالابر وعندما يجلس عليها فان القطع الصغيرة المنفصلة عن البطانية تلتصق بجروحه وتؤلمه . أما اذا نام على ارض الزنزانة المكشوفة فأن سطحها البارد يؤثر على جروحه فتؤذيه . وبعد يومين امضاهما يوسف بقلق ارسل مجدداً الى المحقق ، وفي هذه المرة عذبوه بالصعقة الكهربائية ، توضع الأقطاب الكهربائية على الأماكن الحساسة من الجسم كأطراف الأصابع ، حلمة الثدي ، شحمة الأذن ، طرف اللسان ، وحشفة العضو البولي التناسلي ، عندها تعطى شحنات كهربائية متفاوتة تجعله يرتفع في الهواء ويسقط على الأرض بشدة . وبعد هذا الفصل من التعذيب اعيد الى الزنزانة وهو بغير وعي كامل .

وبعد يومين بالضبط استدعي مجدداً ، خلعوا ملابسه وسلطوا النار على صدره وبطنه وجانبي ساقيه فعاد في وضع

يعجـز الانسان عن وصفـه . وفي الاسابيـع التي تلت ذلك تقشّر جلده وبدأ الماء والدم والقيح ينضح من جسمه بـاعثاً رائحة كريهة ، واخيراً فارقنا وهو لم يذق الـطعام والمـاء لمدة عشرة ايام .

راوي رجـل مسيحي مصـري جلس بـالقـرب من يـوسف ليواسيـه ويمسح عـلى جـروحـه لكن احـد عمـلاء المخابرات في الزنزانة اخبر عنه فاستدعاه المحقق وعاقبه ثم حذره وامر بان لا يقترب احد من يوسف .

ان من يتردد على العـراق يُشَكُ في امـره ، فالخـوف يسـود كـل مكـان والجميـع حـاكم ومحكـوم في قلق وهمّ دائمين ، اما ظاهرة عدم الاطمئنان والشـك فقد اصبحت منتشـرة بين النـاس ، فلا عجب اذا عـرفت بان الصحفي صباح اعتقل بسبب تقرير كتبته عنه زوجته المطلّقة وارسلته الى المخـابرات واذا بـه امـام المحقق في جهـاز المخـابـرات الرهيب مرتدياً بيجامة وسخة تفوح منها رائحة نتنة .

فادخل الزنزانة وقد عنّفه الحارس بقوله : « لعن الله امك وابوك يا قذر » !!



من طرق التعذيب في سجون
العراق: التعليق من
الأرجل الى مروحة سقفية
والضـرب على الرأس
والجسم

● الفصل الخامس عشر :

كان معنا في الـزنزانـة مجموعـة من الشباب الأيـراني تتـراوح اعمارهم بـين العشرين والخـامسة والعشـرين سنة وهم يختلفون عن بقية السجناء ، فَتَنَهم الأعلام العراقي في الراديو ، فهجروا بلدهم الذي يحكمه نظام اسلامي صارم ثبّت اقـدامـه حـديثـاً ولجـأوا الى العـراق الـذي وعـدهم بـأيصالهم الى أي دولـة اوروبية يـرغبون الـذهاب اليهـا ، وظنوا ان الطريق معبد بالذهب ! !

وخلسة عبروا الحدود بعد ان اخبـروا ذويهم بأنهم في اجازة قصيرة وسفر داخل البلاد !

بعضهم سـافر بـدون جواز سفـر واخـرون يمتلكـون الهـوية الشخصيـة فقط ، وهؤلاء المنحرفـون ادّعـوا بـأنهم لاجئون سياسيون في ظنهم ان نظام حـزب البعث سيحسن معـاملتهم لكنهم الآن ومنذ مـدة طـويلة رهن (ضيـافـة) جهاز المخابرات ! !

هؤلاء الشباب يعانـون من عقد ذاتيـة عنيفـة وكـل واحد منهم يتصور ان معاناتـه اكبر واعـظم من الآخرين ، وقد جاءوا في مجموعات مؤلفة من اثنين او اكـثر والآن يلوم بعضهم البعض الآخر . فمثلاً ، جبار يردد دائماً : (ملعون فيروز ، لولاه لم اكن هنا وفي هذه الحالة !) .

عـلى كل حـال ، فقد جمعهم اصلهم العـرقي وعدم معرفتهم اللغة العربية ، وارتبـاطهم بحركـة (المجاهدين) وغيرها من الأحزاب السياسية المعارضة في ايران ، وكـانوا يشكلون جمـاعة غـير متماسكـة داخل الـزنزانـة ، والأمـام الخميني يسمـونه (اقـاجان) وفي نـظرهم انـه رجـل نبيـل ومقدس قبل ان يستلم السلطة .

وحيدي كان اكثرهم ثقافة وكان يبدي وجهات نظره على شكل امثال وحكايات ، فقد قـال مرة : (جـاء رجل من احدى قرى ايران النائية الى مدينة طهران واخذ يتجول في سـوق للفاكهـة فأشتـرى خوخـة صغيـرة صفـراء اللون وكانت حلوة المذاق طيبـة ، عندمـا رجع الى قـريته وصف الخوخة وطيب مذاقها مسترسلاً في ذلك ، . . وعند زيارته الثانية الى طهران التي كانت في فصل آخر من فصول السنة حيث لم يكن هناك (خوخ) فتش عن الخوخ في كل مكان وأهتدى الى ليمونة صفراء متصوراً أنها خوخة ، فأكـل منها شيئاً وقزّزه مذاقها الحامض الحاد فقـال بلا أدراك : بـزركَ

شد خراب شد ، وتعني أن الخوخة كبرت كثيراً حتى فسد طعمها ! . وأنت تعرف أن القوة فاسدة ، فأذا كبرت فسدت كلياً !! » .

وخلال فترة أعتقالهم لم يخضعوا لأي سؤال أو تعذيب ، لكن وضعهم الحالي هو أكثر تعذيباً لهم ، يجلسون عادة قرب المرافق الصحية التي ليست لها أبواب ثابتة ويبكون بصمت يتذكرون عوائلهم ووطنهم العزيز ، كانوا هنا منذ ستة أشهر ولا يعرف أحد ماذا سيؤول اليه مصيرهم !! فمرة طلبوا من الحارس مقابلة المحقق ، فأجابهم ببساطة : « أنتم ضيوف هنا فلا تضجروا !! » .

وحيدي ، علي رضا ، فيروز ، جبار ، داريوش وآخرون يجتمعون أحياناً يتحدثون ويستهزئون بالعرب وطرق معيشتهم ، ويطلقون النكات لعلهم ينسون واقعهم المر !! أن قدرة الأنسان على اختراع طرق تنسيه واقعه الذي يعيشه هي هبة عظيمة ، ويستطيع أن يحول ذهنه للتفكير بأشياء أخرى ، لكن الغرابة تكمن أيضاً في أنه ينجح أحياناً في النسيان بمجرد التفكير بالنسيان !! ويصعب علي توضيح ذلك بعبارات ، لكن الحقيقة أني أقنع نفسي بأني لا ماضي لي ولا مستقبل ، وطوع أرادتي أقتنع بأني وحيد ليس لي أبوان ولا أطفال ولا زوجة ، وأنما الجأ لذلك لكي أتخلص من القلق والهمّ ، وعندما يعتلج

في داخلي صوت خفي يذكّرني بالآمال الحلوة الكاذبة أبعده عن ذهني ولا أستسلم له .

والسجناء الايرانيون كانوا يقرأون الشعر لحافظ ، سعدي ، خسرو ، خيام ، وشعراء آخرين من القدامي والمعاصرين ويقضون وقتهم ، وكانوا يتحسسون سلباً من العرب ويصفونهم بالأنحطاط والقذارة والبعد عن الأنسانية !! .

جبار كان محتالاً ويمازح كثيراً ، نظر الى احد السجناء العرب الذي جاء لتوه من الحمام وجلس في التواليت لقضاء حاجته ، وقال جبار : « هل سمعتم بالجمل الذي ذهب الى النهر واغتسل بمائة ثم اخذ يتمشى على الارض الطينية مفتخرا امام اصحابه بانه اغتسل ، فنظر اليه اصحابه وقال احدهم : نعم يمكن التأكد من نظافتك بالنظر الى قدميك !! » . فضحكنا وقلت له يبدو انك على ما يرام اليوم ، فاجاب : « القلب يدري ، وانا أدري وكذلك يعرف قلبي ! » .

● الفصل السادس عشر :

زوجتي كانت تفترش الأرض لمدة ثمانين يوماً معصوبة العينين ولا يسمح لها بالاتصال بباقي السجينات ، وواجهت مصاعب جمّة منها مشكلة اللغة ، فهي لا تجيد اللغة العربية مما حدا بها الى استخدام الاشارات لإفهام الحارس بما تريده حتى انها إذا أرادت الذهاب الى المرافق الصحية فانها تشير باتجاهها وتطلب الرخصة من الحارس فيأذن لها .

وكما هو معروف عن رقة المرأة ، فلا بد أنها ستمرض حينما ترى كل شيء قاتماً وكئيباً حتى الطعام رديء وقذر ، فلم تتناول الطعام لعدة أيام وأحسّ بذلك الحارس فأخبر المحقق والطبيب ، وخوفاً عليها من الموت جوعاً ، فقد أجبروها على تناول الطعام بواسطة بعض النساء العميلات للسلطة والمندسّات بين السجينات ، فكان طعامها خاصاً يشمل : الحليب ، فتات من الخبز وقطعاً

من الزبدة !!.

تجلس وحيدة ولا تستطيع الاختلاط بباقي السجينات مذهولة لما حصل لنا ، فهي لا تعلم بمكان تواجدي ، وتشعر بالخطر وعدم الطمأنينة ، وعندما تتذكر أطفالها تبكي بمرارة ولعدة أيام حتى يجف الدمع في عينيها ولا أحد يشفق عليها أو يواسيها بكلمة !!.

وبعد هذه المدة الطويلة أرسلوها الى الغرفة رقم ٧٣ مع مجموعة من السجينات العراقيات وأمضت باقي المدة فيها الى حين إطلاق سراحها . وفي هذه الغرفة استقبلتها السجينات بعد أن عرفن أنها أجنبية وواسينها بكلمات طيّبة « الله كريم » .

في زنزانتي كنت أتذكر زوجتي التي لا أعرف أين هي فيعتصر الألم قلبي لأنني لا أدري أي شيء عن وضعها وحالها ، وهل استطاعت أن تكيّف نفسها مع الواقع المؤلم الكئيب ؟ لم أستطع السيطرة على مشاعري وانفجرت بالبكاء فواساني السجناء من حولي وطلبوا منّي الصبر والكفّ عن البكاء وهم لا يعلمون أن زوجتي معتقلة أيضاً ولا أعرف عن مصيرها شيئاً ، فأخبرتهم بالموضوع فتعجبوا وهزّوا رؤوسهم استغراباً ، وأتذكّر أن أحد السجناء الاردنيين اغرورقت عيناه بالدموع ، أما أبو علي فكان يردد

لماذا ؟ لماذا يعتقلون زوجتك ؟ لماذا يعذّبون النساء البريئات ؟!!

أرسل عليَّ المحقق للمرة الثالثة ، وهذه المرة بدت نبراته حادّة ونظراته مريبة، فسألني :

ـ قل ، من أرسلك الى هنا ؟

ـ لا أحد ، جئت برغبتي لزيارة العتبات المقدسة .

ـ هل زرت إيران ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

ـ لغرض الزيارة .

ـ أي زيارة هذه ؟!

ـ ذهبت لزيارة الامام الرضا في مدينة مشهد .

فانتفض المحقق واقفاً واقترب منّي قائلاً :

ـ هل أنت رئيس لإتحاد طائفتك في بلدك ؟

ـ نعم كنت سابقاً كذلك .

ـ تحقيقاتنا تشير الى أنك مؤسس لـ(جماعة الشيعة العالمية) في لندن وأنت رئيسها .

ـ نعم أنا أحد مؤسسيها لكني لست رئيسها .

لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل ؟

ـ لأنّكم لم تسألوني عن حياتي الخاصة وعملي الإسلامي ، وأنا مجبر على الإجابة على أسئلتكم فقط .

فصفعني أربع مرات على فمي وسقطت الى الأرض ، ثم استجمعت قواي ونهضت ، فسألني :

ـ هل تحب زوجتك ؟

ـ تذكرت زوجتي المسكينة وعصف الألم بأعماقي وأجبته :

ـ نعم ، طبعاً .

ـ حسناً ، فلن تراها ، لقد اصطدنا صيداً ثميناً ، فأنت يجب أن تعدم !

فقادني الحارس مجدداً الى الزنزانة وأنا لا أعرف موطىء قدمي حينما سار بي في دهاليز المخابرات !!

● الفصل السابع عشر :

الأيـام تحوّلت الى أسـابيـع والأسـابيـع الى أشهـر ، وتلاشى شيئاً فشيئاً الأمل في اطلاق سراحي !. . وكل مرة عندما أعود من المحقق يسألني السجنـاء : هل وقّعت ؟. . لم يطلب منّي التوقيع على أي شيء حتى المرة السادسة حينما طلبوا منّي التوقيع على ثماني صفحات كتبت باللغة العـربية واستـطعت أن أقـرأ فيهـا كلمـة « المتهم » ولم يسمحـوا لي بقراءتها وكان عليَّ أن أوقّع حتى على موتي وأنا لا أعلم ! !

في الـزنـزانـة أخبـرت رفـاقي السجنـاء بـأنّي وقّعت فابتهجوا وصافحوني مهنّئـين وهم يرددون : أنت وقعت ، إذن انتهى التحقيق والاستجـواب وان شـاء الله ستخـرج قريباً .

مرَّ عليَّ شهران ولا زلت في الزنزانة ، وعادة فالتأخير المتعمـد بعـد التـوقيـع يعني أشيـاء كثيـرة مبهمــة ، وبـدأ السجناء يشكّون في مسألة براءتي ! !

فمثلاً أبو منصور همس لأحد أصدقائه : هذا الرجل ربما ارتكب جرماً كبيراً ، وحتماً سيأخذونه الى سجن « أبو غريب » ويسجن لعدة سنوات .

لكن وفي صباح يوم مبكر دخل محمد و هو رجل يعمل في غرفة الأمانات ، دخل الزنزانة ونادى عليَّ فذهبت معه ، وعند دخولي الغرفة تذكرت اليوم الأول لاعتقالي وانتابني شعور غريب !! فجلست على كرسي صغير وشاهدت زوجتي هناك للمرة الأولى بعد أربعة أشهر ولم يسمح لنا بالكلام وأمرونا بارتداء ملابسنا واستلام حاجياتنا الخاصة ، وقال محمد : أنتما الآن ستذهبان الى بيتكما فابتسما ! فابتسمنا لأننا نجبر على فعل كل ما يريدون !!

بعد دقائق جاء أحد الضباط وقال : متأسف ! ان الضابط الذي يتولى مسألة الافراج عنكما سيتأخر لمدة ساعتين ، فاخلعا ملابسكما وعودا الى الزنزانة .

هذا النوع من التعذيب النفسي تكرر معنا ثلاث مرات ، في كل مرة يأخذوننا الى غرفة الأمانات نرتدي ملابسنا ونأخذ حاجياتنا الخاصة لكن بحجة واخرى يرجعوننا مجدداً الى الزنزانة !!

وعلى ما يبدو أن الضباط يأنسون بلعبة القط والفار ،

وعلينا أن نتحمل هذه المزحة السخيفة !!

في نهاية المطاف ، أخبرنا الضابط المسؤول على التوقيع على أوراق عديدة وتحت سيل من السباب والشتائم اركبونا سيارتهم وأخذونا الى زنزانة اخرى تقع في قلب بغداد . أعطونا غرفة وجلسنا نستعرض ما حلّ بنا منذ اليوم الأول من اعتقالنا ، وانهمرت دموعنا بغزارة تنفيساً عمّا يجيش في صدورنا لنزيل الغمّ الذي اكتنف قلوبنا !!

بعد يوم أخذوا لنا صوراً فوتوغرافية وبصموا أصابعنا ثم أرسلونا الى محل ثالث حيث واجهنا مجموعة من السجناء وقد علا الشيب رؤوسهم وكانوا أنصاف عراة وأغلبهم مصاب بلوثة عقلية ، استقبلونا برحابة صدر وأشار أحدهم الى غرفة مجاورة ، فأخذوا زوجتي الى غرفة مخصصة للسجينات الإيرانيات اما أنا فبقيت مع مجموعة من المجرمين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة منذ تسعة أشهر .

أحد المصريين السجناء واسمه مجيدرحّب بي بلطف ظاهر وقال :

أهلاً بك في فندق شيراتون ، تفضل واسترح رجاءً : ماذا قالوا لك ؟

ـ أخبروني بأني سأبقى هنا هذه الليلة فقط .

فواجهني بضحكة ساخرة وقال :

ـ نعم ، فقد قالوا اليَّ ذلك عندما جـاؤوا بي الى هنا منذ سبعة أشهر !!

فخفق قلبي من هول المفاجأة !!

● الفصل الثامن عشر :

المصائب نزلت كالأعصار على الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء وغيرها من المدن المقدسة في العراق . أين هي الأيام المقدسة التي ترى فيها الأضرحة المشرّفة لأولياء الله وهي تغصّ بالزائرين ، والطرق المؤدية الى المساجد والمدارس الدينية تعجّ بطلبة العلوم الدينية والعلماء ؟ هذه الأماكن المشرّفة مهجورة الآن ، والمدارس الدينية جرّدت من محتواها وباتت أحجاراً ترتفع على الأرض ، وأغلب الطلبة الأجانب أبعدوا عن العراق ، وعلماء الدين اما أُبعدوا أو طُردوا من هذه المدارس !! ويأخذنا الخيال الى الأجواء الطيبة من السلام والنقاء التي كانت تسود المدن المقدسة والأضرحة المشرّفة لأولياء الله ، تلك الأجواء النقية التي لم تتلوث بمذاهب المادية والفوضى الفكرية !!

جئتُ لزيارة الأربعين هذا الحَدَث الذي يستقطب عادة ما يقارب المليون زائر كل عام ، وقد استغربتُ لأنّي لم أرَ إلاّ عدداً قليلاً جداً من الزائرين وجواً من الخوف

والإرهاب يخيّم على كل مكان !! أما الشباب فـلا ترى لهم وجـوداً عدا أولئـك الذين يعملون للسلطة من الجـواسيس والمخبرين السريين !!

دخلت حرم الإمام الحسين عليه السلام ووقفت عند ضريح الصحـابي الشهيد حبيب بن مـظاهر الأسـدي وإذا بشاب وثب من جهة اليسار وفاجأني قائلاً :

ـ من التقط صورة ؟

ـ صورة ؟ أية صـورة ؟ أجبته وقـد علتني موجـة من الاستغراب والذهول !!

لكنه صاح بي متوعداً :

ـ لقد شاهدت ضوء خاطفاً لفلاش كاميرا !!

ـ لا أدري وأنا لا أملك كاميرا !!!

فـأدار ظهره واختفى في أروقـة الحرم المـطهّر . هـذه الحـادثة غـير المتوقعـة أقلقتني ، وفي المسـاء ذهبت لـزيـارة ضريح سيدنا العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعنـد دخولي الصحن الشـريف استـوقفني أحـد الشـرطـة قائلاً :

ـ من أي بلد أنت ؟

فأجبته على سؤاله بشيء من الريبة والشكّ .

فقال : هل هناك مسلمون في بلدكم .

فأجبته : نعم ، كثيرون .

داخل الحرم المطهر تشاهد عدداً قليلاً جداً من علماء الدين ، والعتبات المقدسة كانت تدار من قبل خدم مؤمنين ، التقوى والورع يسود الأجواء فيها ، الشوارع المؤدية إليها تعجّ بالنشاطات الاسلامية المختلفة ، لكن اليوم تراها بائسة وقد نزل عليها البلاء الذي سلّطه عليها الاشتراكيون والشيوعيون وغيرهم من أصحاب الأفكار الضالة !! فالمؤسسات والأحزاب المنحرفة تسيطر عليها منذ زمن طويل !! وما نشاهده الآن من التدهور والانحلال يعطي صورة عن الهجوم الشرس الذي استهدفها وكبّلها !! فالعتبات المقدسة تدار اليوم من قبل جهاز المخابرات ، وضابط المخابرات تراه مرتدياً الزي المدني يقف عند المدخل الرئيسي أو قرب محل جمع الأحذية يراقب الداخلين من الزوار ، وتراه أحياناً مستنداً الى أعمدة البناء في الصحن الشريف ، أو قرب إمام الجماعة في الصلاة أو يلازمك كالظلّ !!!

نعود الى المعتقل ، حيث أنا الآن في المكان الثالث الذي نقلت إليه ، عندما كنت أتحدّث الى مجيد الشاب المصري سمع حديثنا شاب كردي فاقترب منّي بتحفّظ ظاهر وهمس : « عندي هدية لك ، خذها » ، وناولني

قطعتين من القماش الأخضر ، ثم قال :

ـ أنـا من أهالي سـامـراء ، وهـذا القمـاش الأخضر جئتُ به من الإمامين العسكريـين للتبرك . انها هـدية غـير متـوقعة من الله !! ومـا أن انهىٰ كـلامـه حتى نـادى عليـه الحارس ووبخه قائلاً :

ـ ألا زلتَ متمسكـاً بهذه الخـزعبلات أيهـا البليد ؟! الرسالة الخالدة تنقذك من هذه الأوهام !!

(ويقصـد بذلـك شعار حـزب البعث المنحرف أمـة عربية واحدة ، ذات رسالة خالدة) .

● الفصل التاسع عشر :

رفعتُ يدي الى السماء ودعوت بإخلاص طالباً منه تعالى النجاة من هذه التجربة القاسية والتي يبدو أن لا نهاية لها ! فنحن ننقل من زنزانة الى اخرى وكل زنزانة أصعب من الثانية ، ارحم عبيدك يا الله !! كان ذلك يوم الاثنين أي بعد يومين من وصولي الى هذا المعتقل ، وقد وعدوا باطلاق سراحي في اليوم التالي ، لكن على ما يبدو لا أمل يلوح في الأفق !! وكلمات مجيد لا زالت ترنّ في أذني :

نعم لقد وعدوني بذلك قبل سبعة أشهر !!

وخلال الأيام الماضية توجّهتُ باخلاص وتضرّعتُ الى الله أن يخرجني من هذا المأزق الذي لا أدري الى متى سيطول وفيما أنا كذلك أدعو خالقي أن يرحمني مرّت عليَّ سَنَة ، من نومٍ وإذا بصوت خفي يصل الى مسامعي :

﴿إنَّ الله بصيرٌ بالعباد﴾ .

فانتبهت وأنا أحدّث نفسي هل أنا في واقع أم خيال ؟!.

هل استجيب دعائي ؟ ان الرعب والخوف الذي يسود سجون المخابرات جعلاني ضحية كوابيس تمرّ عليَّ كل يومٍ . . وبدأت الطمأنينة والهدوء تسريان في كياني اذ أن الباري تعالى استجاب دعائي !!.

وشتّان بين هذه الأيام الكئيبة وأيام الرخاء والراحة !!.

وفيها أنا كذلك وإذا بسيارة تقف أمام الباب ، انها سيارة المخابرات ، فسمعتُ رفاقي يتهامسون وقد تملكهم الخوف يحذّر بعضهم البعض الآخر :

- انها سيارة وحوش المخابرات ، والله وحده يعلم من منّا سيكون الضحية !!.

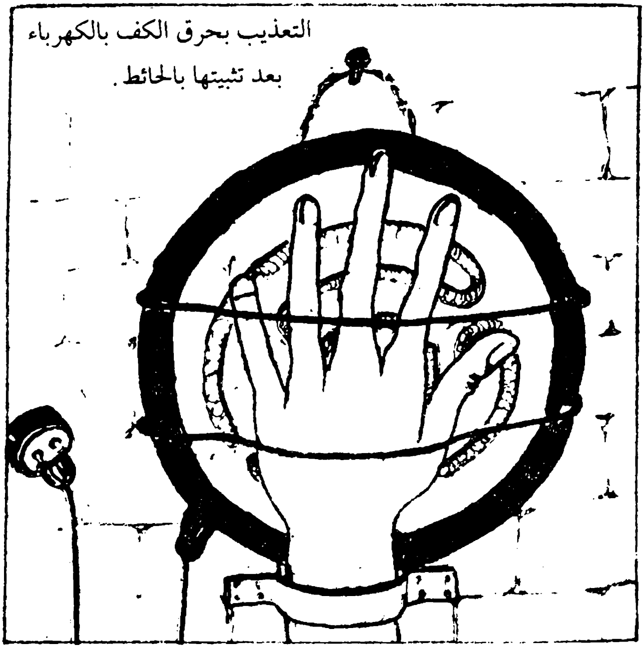
وفجأة نودي عليَّ ، نهضتُ لأهيّء نفسي للرحيل ولا أدري الى أين سيرسلونني ، هل سأُنقل الى زنزانة أُخرى ؟ أم هل سيعيدونني الى الزنزانة رقم ٥٨؟ فارتعدت فرائصي وبصعوبة بالغة استطعت أن أرتدي حذائي وأجمع حاجياتي الخاصة فساعدني مجيد على ذلك !!.

وما أن وصلتُ الى السيارة حتى شاهدتُ زوجتي فيها فجلست بمحاذاتها وقال الضابط بأدب ظاهر بأنهم حجزوا

لنا تذاكر السفر الى لندن في اليوم التالي وأراني تذاكر السفر وقال :

- ستكون ضيفنا هذه الليلة ، في الزنزانة طبعاً ، وتهيأ للسفر عند الساعة السادسة من صباح غد .

انطلقت السيارة بنا في شوارع بغداد وعيون المخابرات ترصدها ! وأرجعوني الى الزنزانة السابقة ، وأخذنا ننتظر انتهاء تلك الليلة الليلاء وكأنها لا نهاية لها !!! .



التعذيب بحرق الكف بالكهرباء
بعد تثبيتها بالحائط.

● الفصل العشرون

« في أمان الله » قالها رجال المخابرات وانصرفوا بعد أن أوصلنا الى (مطار صدّام) تحت حراسة مشددة لغرض تسفيرنا ، وبعد لحظات كنا في غرفة الاستقبال ننتظر الاعلان عن موعد السفر والتوجه الى الطائرة ، لكن بعد مدة قصيرة رحل جميع المسافرين وبقيت أنا وزوجتي فقط في صالة الانتظار ، فالتفتت اليَّ زوجتي وقالت : هل سنذهب من هنا حقاً ، أم أنها مزحة سخيفة أخرى ؟ فأجبتها : نتوكّل على الله !!.

وأخيراً قامت المضيفة بإيصالنا الى الطائرة ، أما جوازات سفرنا فقد أعطيت الى رئيس المضيفين في الطائرة لتبقى عنده حتى نهاية الرحلة .

في طريقنا الى لندن ، كانت زوجتي قلقة جداً وحذّرتني قائلة :

ـ (أرجوك ، لا تتكلم مع أحد فلربما كان من

وحوش المخابرات ويعيدوننا مجدداً من الجو لأن الطائرة تابعة لخطوطهم الجوية !!) .

عند هبوطنا في لندن ، ظهر ما كنا نخفيه من مشاعر واحساسات نتيجة الارهاب والخوف ، فقدمي اليمنى لا تتحرك من مكانها ، ظهري يؤلمني ودرجة حرارتي آخذة بالارتفاع ولم تكن لي القدرة على الحركة ، ودهشتُ ان رأيت زوجتي التي عانت ما عانيته رأيتها هادئة محتفظة بتوازنها فساعدتني على الظهور بالوضع الطبيعي ، ثم غادرنا المطار .

لا أحد على وجه الأرض يعلم باطلاق سراحنا ، وتحركت مشاعري المكبوتة فآثرت الاستراحة لعدة ساعات قبل اعلام أحد بوصولنا سالمين ، لكن زوجتي طلبت منّي الاتصال بابنتنا لتأتي الى المطار وتأخذنا الى البيت ، فأدرت قرص الهاتف ، ورفعت ابنتي السمّاعة على الطرف الآخر :

ـ ألو . .

ـ فلم أجب وانعقد لساني .

ـ ألو !!

ـ لقد وصلنا يا عزيزتي لقد وصلنا !

ـ لكن من أنت؟!

ـ أنا والدك وهذه والدتك ، لقد جئنا ! !

فاستسلمت ابنتي للبكاء . .

وحقيقة ان اخلاص الأخوة المؤمنين في دعائهم لنا ومساعدة الله دفعت عنا هذا البلاء وابعدت عنّا هذه المحنة ولا شيء غير ذلك :

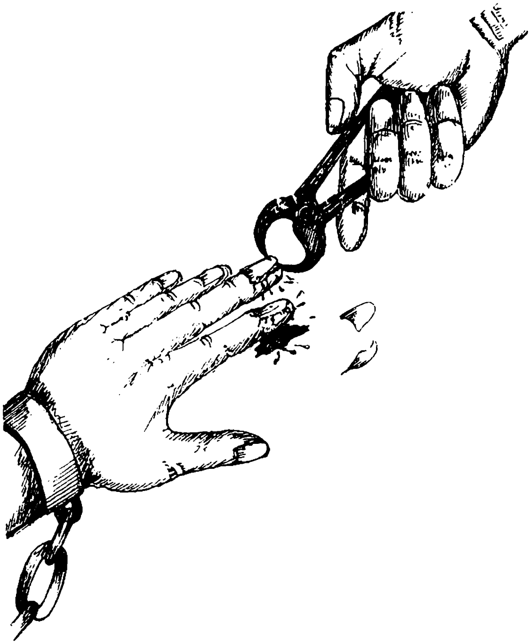
﴿أَمَّنْ يُجِيبُ المضْطرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ السُّوءَ ويجعلكم خلفاءَ فِي الأَرضِ ، أَإِلٰهٌ مع الله ، قليلاً ما تذكَّرُونْ﴾ .



من أشكال التعذيب في العراق . .

استخدام البريمة « Drill » في ثقب الرأس ، رسغ اليد أو القدم وأحيـ
المفاصـل والعمود الفقري .

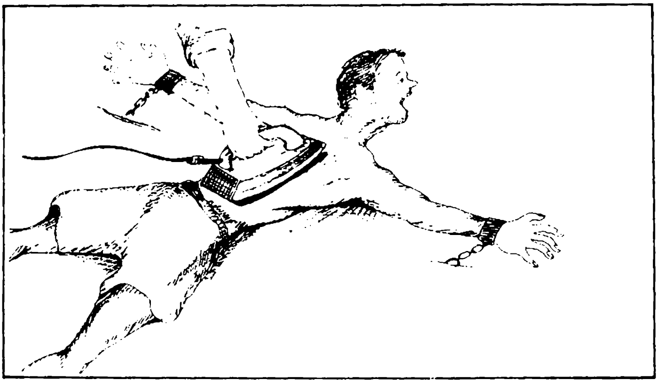

« التعذيب في سجون العراق بغرز
الابر المستخدمة في الخياطة »
يسحب لسان المعتقل الى الخارج ثم
تغرز فيه ابرة كبيرة الحجم لتخرج
من الأسفل
تغرز ابرة صغيرة الحجم في نهايات
الأصابع بين الظفر
واللحم !!



تعـذيب السجـين بقلع أظـافـره . وهـذا مما يحـدث آلامـاً رهيبــة للمعتقل.



إطلاق النار علـى هدف فـوق رأس السجين ، يسبب انهيـاراً نفسياً للسجين بجعله يشعر بأنه يعدم .



من أنواع التعذيب كي جسم المعتقل بالمكواة ، حتى يتمزّق الجلد .

الفهرس